



# الثقافة

مجلة فكرية جامعة

تصدر في دمشق تأسست عام ١٩٥٨ م

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطحة عكاش

ذو القعدة ١٤٢٢ هـ

شباط ٢٠٠٢ م



# الثقافة

## أدبية فكرية جامعة

تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE  
FONDATEUR ET REDACTEUR  
EN CHEF DE LA REVUE AL  
THAKAFA

ص . ب / ٢٥٧٠ /

هاتف : ٢٣٢٣٠٦١

دمشق

P.O. BOX: 2570

TEL\_ FAX : 2320887

هيئة المستشارين :

د. عبد اللطيف اليونس

د. ابراهيم كيلاتي

د. أمين أسبر

د. عمر النص

د. سمر روجي الفيصل

أ. عبد الكريم ناصيف

أ. عبد الغني العطري

أ. جابر خير بك

أ. عصام الحلبي

أ. نعمان حرب

أ. محمد خالد القطمة

أمانة التحرير : سكيمة عكاش الخبرة

ذي القعدة ١٤٢٢ هـ

شباط ٢٠٠٢ م

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

# بسم الله الرحمن الرحيم

## محتويات العدد

|   |                    |    |
|---|--------------------|----|
| الإمتاع والمؤانسة   | حسان الكاتب        | ٣  |
| لأبي حيان التوحيدي  |                    |    |
| فتى العرب   | عبد الحميد علي     | ٩  |
| نظرة الإسلام في القيم                                     | راتب عبد الواحد    | ١٣ |
| أمطارُ الهوى...!  | خالد الخنين        | ١٦ |
| أدب المناظرة في   | د. صالح الأشر      | ١٨ |
| العصر العباسي / جزء ١ /                                   |                    |    |
| صيحة عربية  | د. سعاد الصباح     | ٢٥ |
| الدكتور خليل صعابات                                       | عيسى فتوح          | ٢٨ |
| مؤسس كلية الإعلام في القاهرة                              |                    |    |
| رسائل من والد إلى ولده                                    | أ. ضياء الدين ظاظا | ٣١ |
| أبو الجود   | جابر خير بك        | ٣٦ |
| قراءة في كتاب   | أحمد سعيد هواش     | ٤١ |
| /وجوه ومرايا/ للباحث ميخائيل عبيد                         |                    |    |
| إلى نائمة..!!   | خضر الحمصي         | ٤٩ |
| عمر الخيام  | رضا بني المرجة     | ٥١ |
| آخر وآخر في رواية العار                                   |                    |    |
| في حفل تكريم سمو الأمير عبد الله الفيصل                   |                    | ٥٥ |
| نتائج تحكيم مسابقات الشيخ عبد الله المبارك للإبداع العلمي |                    | ٦١ |
| ومسابقات سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي لعام ٢٠٠١     |                    |    |

# الإمتاع

## والمؤانسة

### لأبي حيان

### التوحيدي

بقلم:

حسان الكاتب

الكتاب الذي نحن في صدد عرضه وتقديمه، ممتع مؤنس كاسمه، يلقي نوراً كاشفاً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.. أي في العصر البويهي.. وهو عصر سادته الضبابية، فقد تعرض التوحيدي في ثنايا حديثه لكثير من الشؤون الاجتماعية لهذا العصر، فوصف فيه الأمراء والوزراء، ومجالسهم كابن عباد، وابن العميد، وابن سعدان، ومحاسنهم ومساوئهم، ويصف العلماء، ويحلل شخصياتهم وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجدال وخصومة وشراب، ويصف النزاع بين المناطقة والنحويين كالمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومتي بن يونس القنائي في المفاضلة بين الأمم، إلى كثير من أمثال ذلك.

وفي الكتاب.. النص الوحيد الذي كشف لنا عن مؤلفي أخوان الصفا، وقد نقله القفطي منه، إذ كان الوزير قد سأل أبا حيان عن هذه الرسائل ومن ألفها، وعن القفطي نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء.

كما أن في كتاب الإمتاع والمؤانسة الذي نحن بصدد عرضه وتقديمه.. فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره وموقعه من الأمراء والملوك، وهيجانهم واضطرابهم وأسباب ذلك.

وإنني أطيل جداً لو وصفت ما في الكتاب من فوائد يقف عليها من يطالع هذا الكتاب القيم الذي يضع في ثلاثة أجزاء، وهو يعتبر أقوم كتب التوحيدي وأنفعها وأمتعها.



ولتأليف أبي حيان لهذا الكتاب قصة ممتعة، ذلك أن أبا الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله بن الفارض قرب أبو الوفاء، أبا حيان من الوزير، ووصله به، ومدحه عنده، حتى يجعل أبا حيان من سماره، فسامره أربعين ليلة يحادثه فيها، وي طرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان.

ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير من حديث، وذكره بنعمته عليه في وصله بالوزير، مع أنه "أبي حيان" ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبح هيئته، وسوء عاداته، وقلة مرانته، وحقارة لبسته، وهدده أن هو لم يفعل أن يغض عنه، ويستوحش منه، ويوقع به عقوبة، وينزل الأذى به.

فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء ونزل على حكمه، وفضل أن يدون ذلك في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر فوافق أبو الوفاء على ذلك، ونصح أنه يتوخى الحق في تضاعيفه واثنانه، والصدق في إيرادته وأن يطنب فيما يستوجب الأطناب ويصرح في موضع التصريح، فكان في ذلك كتاب "الإمتاع والمؤانسة".

ويظن بأن الوزير الذي سامره التوحيدي هو "أبو عبد الله الحسين بن سعدان" وزير صمصام الدولة البويهية.

والحقيقة أن أسلوب الكتاب، بتقسيمه إلى ليالي، وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار يجعله لذيذاً شيقاً أو

على حد تعبير مؤلفه - ممتعاً مؤنساً - فهو أشبه شيء بكتاب ألف ليلة وليلة، ولكنها ليست ليالي اللهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام، إنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء، إذ يتعرض فيه إضافة لما ذكرنا لمشاكل البلغاء كالليلة البديعة، التي جرى فيها الحديث عن النثر والنظم والمفاضلة بينهما، ومزايا كل ونقصه وهكذا كما تعرض فيه إلى مشاكل الفلاسفة كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك.. وهكذا، فإن كان كتاب ألف ليلة وليلة يصور الحياة الشعبية في ملاحيتها وفتنها وعشقها، فكتاب الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين أرستقراطية عقلية، كيف يبحثون، وفيهم يفكرون وكلاهما في شكل قصصي مقسم إلى ليال، وإن كان حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة.

وأسلوب أبي حيان في كتابته، أسلوب أدبي راق كعهدنا في كل تأليفه، يحب الازدواج ويطنل في البيان، ويحتذي حذو الجاحظ في الأطناب والإطالة في تصوير الفكرة، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قولاً، ولكن أغمض أسلوبه في هذا الكتاب تعرضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عزت على البيان ودقت عن الإيضاح، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة إلى موضوعات أدبية: كوصفه لفقره وبؤسه، أو وصفه للكرم وفوائده، أو وصف اللسان والبيان جرى قلمه وسال سيله وأجاد وأبدع..

ومجموع أحاديث الأسمار هذه هي التي كونت مادة الكتاب، وهذه الأحاديث في

الإطار الذي عرضت خلاله، لا تخضع لمنهج ولا تنظمها قاعدة، وقد أدرك أبو حيان هذا ودافع عن نفسه فيه فقال في مفتتح الجزء الثاني:

"انتهى الجزء الأول وأشفعه بالجزء الثاني على سياق ما سلف نظمه ونثره غير عاج على ترتيب يحفظ صورة التصنيف على العادة الجارية لأهله، وعذري في هذا لأن الحديث كان يجري على عواهنه بحسب السانح الداعي" وكان التوحيدي يختم كل ليلة من ليالي السمر هذه بطرفة يسميها "ملحمة الوداع" وقد جرى على رسمها في الليالي كلها.

وسنورد فيما يل بعض ما جاء من حديث بين التوحيدي وجليسه الوزير حيث يقول:

(وصلت أيها الشيخ - أطل الله حياتك، أول ليلة إلى مجلس الوزير - أعز الله بنصره، وشد بالعصمة والتوفيق أزره، فأمرني بالجلوس، وبسط لي وجهه الذي ما اعتراه منذ خلق العبوس، ولطف كلامه الذي ما تبدل منذ كان لا في الهزل ولا في الجد، ولا في الغضب ولا في الرضا.

ثم قال بلسانه الذليق (١) ولفظه الأنيق: قد سألت عنك مرات شيخنا أبا الوفاء، فذكر أنك مراع لأمر البيمارستان من جهته، وأنا أربا بك عن ذلك، ولعلي أعرضك الشيء أنبه من هذا واحدي ولذلك فقد تآقت نفسي إلى حضورك للمحادثة والتأنيث ولأتعرف، منك أشياء كثيرة مختلفة تردد في نفسي على مر الزمان، لا أحصيها لك في هذا الوقت، ولكنني أنثرها في المجلس بعد المجلس على قدر ما

يسنح ويعرض، فأجبنى عن ذلك كله باسترسال وسكون بال بملء فيك، وجم خاطرك، وحاضر علمك، وردع عنك تفنن البغداديين من عفو لفظك، وزائد رأيك وريح ذهنك (أي فضلته) ولا تجبن جبن الضعفاء، ولا تتأطر تأطر الأغبياء واحزم إذا قلت، وبالع إذا وصفت، وأصدق إذا أسندت، وأفضل إذا حكمت، إلا إذا عرض لك ما يجوب توقفاً أو تهادياً، وكن على بصيرة أي ساستدل مما أسمعك منك في جوابك عما أسالك عنه على صدقك وخلافه، وعلى تحريضك وقرافه.

فقلت قبل: كل شيء.. أريد أن أجاب إليه يكون ناصري، على ما يرامني.. فإن منعه نكلت، وإن نكلت قل إفصاحي عما أطلب به وخفت الكساء، وقد طمعت بالنفاق وانقلبت بالخيبة، وقد عقدت خنصري على المسألة. فقال: حرس الله روحه - قل - عافاك الله - ما بدا لك، فأنت مجاب إليه ما دمت ضامناً لبلوغ إرادتنا منك، وإصابة غرضنا بك.

قلت يؤذن لي في كاف المخاطبة، وتاء المواجهة، حتى أتخلص من مزاحمة الكتابة ومضايقة التعريض، وأركب جدد القول من غير تقية ولا تحاش ولا مخاوبة (مواربة) ولا انحياش (انقباض).

قال: لك ذلك، وأنت المأذون فيه وكذلك غيرك، وما في كاف المخاطبة وتاء المواجهة؟ إن الله تعالى - على علو شأنه، وبسطة ملكه، وقدرته على جميع خلقه، يواجه بالتاء والكاف، ولو كان في الكتابة بالهاء رفعة وجلالة وقدر ورتبة وتقديس وتمجيد لكان الله أحق به بذلك ومقداً فيه، وكذلك

رسوله صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله -  
عليهم السلام - وأصحابه - رضي الله عنهم -  
والتابعون لهم بإحسان - رحمة الله عليهم -  
وهكذا الخلفاء، فقد كان يقال للخليفة: يا أمير  
المؤمنين أعزك الله ويا عمر أصلحك الله، وما  
عاب هذا أحد، وما أنف منه حسيب ولا نسيب،  
ولا أباه كبير ولا شريف، وإني لأعجب من قوم  
يرغبون هذا وشبهه، ويحسبون أن في ذلك  
ضعة أو نقيصة أو خطأ أو زراية.

وأظن أن ذلك يعجزهم وفسولتهم (أي  
خستهم وضعفهم) وانخرالهم (أي انقطاعهم  
وتخلفهم عن طلب المعالي) وقلتهم  
وضؤولتهم، وما يجدونه من الغضاضة في  
أنفسهم، وإن هذا التكلف والتجبر يحوان  
عنهم ذلك النقص، وذلك النقص ينتفي بهذا  
الصلف؟ هيهات، لا تكون الرسالة حتى تصفو  
من شوائب الخيلاء، ومن مقابح الزهو  
والكبرياء.

فقلت: أيها الوزير، قد خالطت العلماء  
وخدمت الكبراء وتصفحت أحوال الناس في  
أقوالهم وأعمالهم وخلقهم، فما سمعت هذا  
المعنى من أحد على هذه السياقة الحسنة  
والحجة الشافية والبلاغ المبين. (وجرى  
الحديث بين التوحيدي والوزير) إلى أن قال  
التوحيدي: وأحسن من هنا ما قال عمر بن  
عبد العزيز قال: والله إني لأشتري (المحادثة)  
من عبد الله (٢) بن عبد الله ابن عتبة بن  
مسعود بألف دينار - من بيت مال المسلمين،  
فقيل: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحريك  
وشدة وتحفظ وتنزهك. فقال: أين يذهب بكم؟  
والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على

بيت مال المسلمين بألوف وألوف دنانير، إن  
في المحادثة تلقيحاً للعقول: وترويحاً للقلب،  
وتسريحاً للهمم، وتنقيحاً للأدب..

قال الوزير صدق هذا الإمام في هذا  
الوصف، إن فيه هذا كله.. وجرى الحديث بين  
أبي حيان التوحيدي والوزير في الليلة الأولى  
على هذا النسق إلى أن قال الوزير:

أحسننت في هذه الروايات على هذه  
التوشیحات وأعجبني ترحمك على شيخك أبي  
سعيد، فما كل أحد يسمح بهذا في مثل هذا  
المقام وما كل أحد يأبه لهذا الفعل، هات ملحة  
الوداع حتى نفترق عنها ثم نأخذ ليلة أخرى.

قلت: حدثنا ابن سيف الكاتب الراوية،  
قال: رأيت لحظة (٣) قد دعا بناء ليبي له  
فحضر، فلما أمس اقتضى بالأجرة، متماسكاً  
(أي تشاحاً بالأجرة) وذلك أن الرجل طلب  
عشرين درهماً، فقال لحظة: إنما عملت يا هذا  
نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا  
تدري أنني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة،  
فينما هما كذلك، وجب الحائط وسقط، فقال  
لحظة: هذا عملك الحسن؟ قال فأردت أن يبقى  
ألف سنة، قال: لا ولكن كان يبقى إلى أن  
تستوفي أجرتك، فضحك - أضحك الله سنه .

وفي الليلة السابعة عشر (كان الحديث  
عن أخوان الصفا وهو النص الوحيد الذي  
كشف لنا عن مؤلفي أخوان الصفاء والذي  
نقله القطفي منه وسبق أن تحدثنا عن ذلك في  
مطلع حديثنا عن كتاب الإمتاع والمؤانسة) .

قال الوزير : حدثني عن شيء هو أم  
من هذا لي وأخطر على بالي، إني لا أزال  
أسمع من زيد بن رفاعه قولاً ومذهباً عهد لي



(به) وكتابة عما لا أحقه، وإشارة على ما لا يتوضح شيء منه، يذكر الحروف ويذكر النقط.. الخ..

فقلت أيها الوزير، هو الذي تعرفه قبلي قديماً وحديثاً بالتربية والاختبار، والاستخدام وله منك الأخوة القديمة والنسبة المعروفة.

قال دع هذا وصفه لي، قلت هناك ذكاء غالب، وذهن وقاد، ويقظة حاضرة، وسوانح متناصرة ومتع في فنون النظم والنثر مع الكتابة البارعة في الحساب والبلاغة، وحفظ أيام الناس، وسماح للمقالات، وتبصر في الآراء والديانات، وتصرف في كل فن: أما بالشدو الموهم، وأما بالتبصر المفهم، وأما بالتناهي المفهم، فقال فعلى هذا ما مذهبه؟

قلت ينسب على شيء، ولا يعرف برهط، لجيشانه بكل شيء، وغليانه في كل باب، ولاختلاف ما يبدو من بسطة وتبيان، وسطوته بلسانه، وقد أقام بالبصرة زماناً طويلاً، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة، منهم أبو سليمان محمد ابن قعشر البشيتي، ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعوفي وغيرهم فصحبهم وخدمهم، وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصدقة، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به (الطريق) إلى الفوز برضوان الله والمصير إلى جنته، وذلك أنهم قالوا: الشريعة قد دنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، ولا سبيل إلى غسلها

وتطهيرها إلا بالفلسفة، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية، والمصلحة الاجتهادية.

وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال، وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة: علميها وعلمتها وأفردوا لها فروسنا وسموها رسائل أخوان الصفا وخلان الوفاء، وكتبوا أسماءهم، وبنوها في الوراقين، ولقنوها للناس، وادعوا أنهم ما فعلوا ذلك، إلا ابتغاء وجه الله عز وجل وطلب رضوانه ليخلصوا الناس من الآراء الفاسدة التي تضر النفوس، والعقائد الخبيثة التي تضر أصحابها، والأفعال المذمومة التي يشقى بها أهلها، وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والأمثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة.

فقال: هل رأيت هذه الرسائل؟ قلت رأيت جملة منها، وهي مبنوثة من كل فن نتفا بلا أشباع ولا كفاية، وفيها خرافات وكنائيات وتلفيقات، وتلزيقات، وقد عرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عنها.

وحملت عدة منها إلى شيخنا أبي سليمان المنطقي السجستاني (محمد بن بهرام) وعرضتها عليه - ونظر فيها أياماً واختبرها طويلاً، ثم ردها علي وقال: تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، وغنوا وما أطربوا، ونسجوا فهلهلوا، ومشطوا ففلقوا، ظنوا ما لا يكون لا يمكن ولا يستطاع، ظنوا أنهم يمكنهم أن يدسوا الفلسفة، التي هي علم النجوم والأفلاك والمحسني والمقادير وآثار الطبيعة، والموسيقى والتي

هي معرفة النعم والإيقاعات والنقرات والأوزان، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالإضافة والكميات والكيفيات، في الشريعة وأن يضموا الشريعة للفلسفة.

وفي نهاية المطاف مع كتاب (الإمتاع والمؤانسة) يحسن بنا أن نقدم ومضة من حياة مؤلفه التوحيدي .

### مع أبي حيان التوحيدي:

ولد الأديب علي بن محمد (أبو حيان التوحيدي) في شيرا أو نيسابور أو واسط.. فالمصادر لم تحدد بالضبط مكان وتاريخ ولادته.. أقام ببغداد وانتقل إلى الري، ثم عاد إلى بغداد، فاتهم بالزندقة عند الوزير المهلب، فطلبه فاستتر، ومات بعد عام ١٠١٠، مختفياً، عن أكثر من ثمانين سنة، كان حاد المزاج، سريع الجواب، فلم يحبه الكبراء، واضطر على احتراف نسخ الكتب، وفي آخر حياته أحرق كتبه، ضنا بها على الناس، درس النحو واللغة والفلسفة والأحكام والاردواج، فخالف أدباء عصره المهتمين باللفظ والسجع، وألف عدة كتب هامة، مثل "مثالب الوزراء" "في ذم ابن الصيد والصاحب ابن عباد" و "البصائر" و "الإشارات الإلهية" و "الرد على ابن جني في شعر المتنبي" و "تقريظ الجاحظ".

وبعد فالتوحيدي أديب ومفكر واسع الثقافة، عميق التفكير، ملم بألوان التيارات الفكرية التي شهدا عصره، هو القرن الرابع الهجري الذي يمثل قمة ذهبية في تاريخنا الفكري والحضاري، والأحاديث التي تضمنها

كتابه تمثل موسوعة فكرية وأدبية عكست ثقافة التوحيدي - وتيارات العصر الذي كان يعيش بين ظهرائية وتجلت فيها ثقافة العرب والفرس والروم واليونان والهنود وأخبار رجال ذلك القرن من أدباء وشعراء ولغويين ونحاة وفلاسفة ومتكلمين ونبذا من آرائهم واتجاهاتهم وقد اشتمل الكتاب على طائفة من الشواهد الشعرية والنثرية كما سبق وذكرنا، وقد استطاع التوحيدي أن يضيف على هذه المجموعات المتفاوتة من القضايا المطروحة المسحة الحيوية بسبب روعة الطابع العقلي وسحر الأداء الأسلوبى .

ويبدو أبو حيان في كتابه متواضعاً يعرض آراءه ببساطة دون اعتداد في الوقت الذي يتحمس فيه لأراء اساتذته وشيوخه ويثني عليها ويحيطها، بهالة من التقدير.

- (١) اللسان الذليق: الجاد البليغ.
- (٢) هو أحد الفقهاء السبعة، كان إماماً عالماً وكان أعمى، قال البخاري أنه مات سنة ٩٤ هـ وهذا لا يتفق وخلافة عمر بن عبد العزيز وقال ابن المديني سنة ٩٩ هـ وهذا متفق مع هذه القصة.
- (٣) هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن برمك الشاعر المعروف، كان من ظرفاء عصره وكان صاحب فنون نوادر ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، وتوفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسط، ودفن ببغداد.

# فنتى العرب

عبد الحميد علي (بدوي الساحل)

( مهداة إلى العربي الكبير الشاعر السيد العماد أول الدكتور مصطفى طلاس )

تبـلـج وجهـك الضـاحـي ولاحـا  
فرهـره فـي ملامـحه الصـباحا  
وأسـكر زهـو نيسـان ونـدى  
مشـارفه اغتـابـاقاً واصـطباحا  
ونـم العـطر هـسهـسة وبشـراً  
عـن الشـمس المـخبـأة اتضـاحا  
ولمـّا أن طـلعت (أبـا فـراس)  
عـلى الدنـيا عـشـقناها مـراحا  
وأترفـنا العـيون عـلى روأهـا  
وزيـنا الـنفوس لهـا انفسـتاحا  
وآمال الحـياة إلـيـك أمـت  
لتـنعم فـي محيـاك انشـراحا  
لقـد شـامت بطلـعته وميـضاً  
يذيع لهـا المـنى روحاً وراحا  
فنتى العرب الكـرام ومـن تساموا  
ومـن مـلـكوا العـلى سـناحاً فساحا  
ومـن سـطعوا عـلى الدنـيا بـدوراً  
كـراماً تسـكب البشـرى صـباحا  
فقـد زحموا الضـحى ألقـاً وراضوا  
عـنان الدهـر والدنـيا نفاحا



لَكُمْ قِدَمُ الْأَصَالَةِ عَنْ يَقِينِ  
وغيركم تَصْرُكُمُ تَصْرُكُمُهَا سَفَاحَا  
لَقَدْ طُبِعَتْ بِكُمْ شَيْمًا وَرَاحَتِ  
تَمَاجِدُ مِيعَةِ الشَّمْسِ امْتَدَا  
نَمَا بِرَحَابِهَا الْإِسْلَامَ زَهْوًا  
فَعَاظَاهُمَا الْكِرَامَةُ وَالسَّامَا  
فَشَاوُ الْمَجْدِ فِي الْحُلُبَاتِ وَعَدَدُ  
وَمَا حَازَ الرِّهَانُ فَتَى مِزَا  
(وَبِأَبْنِ الْأَكْرَمِينَ) بِكَ أَطْمَئِنْتُ  
لِغَايَةِ مَجْدِهِمَا الْفَصِيحِ طِمَاحَا  
شَبَابُكَ دِيمَةً مَرَّتْ عَطُورًا  
عَلَى الصَّحْرَاءِ فَاشْتَعَلَتْ أَقَا  
وَإِنْ جُنَّ الْهَجِيرُ عَلَى وَسِيمِ  
تَحَامَى فِي ظِلَالِكَ وَاسْتَرَا  
مَشَى السَّارِخُ خَلْفَكَ عِبْقَرِيَّا  
يَسْرَى دُنْيَا مَسِيرَتِهِ اصْطِلَا  
تَأْتِقُ مَوْسِمًا يَزْهَوُ وَيَمْضِي  
عَلَى كَفِيرِكَ مَلْتَهُ بَأْ كَفَا  
سَكَبَتْ رُبْعُكَ الْزَاهِي شَفِيقًا  
عَلَى نَيْسَانِ الْمَاءِ قُورَا  
فَكَمْ نَسَزْتَ بِسَاحَتِهِ عَقُولُ  
يَطَارِدُهُمَا الْجِدْجِي ظَمَأَى طَلَا  
فَقَدْ أَلْفَتْ بِعَالَمِهِ مَسَانَا  
فَدَلَّاهَا وَأَكْرَمَهَا صِلَا  
(أَبَا الْحَرْفِ) الْوَضِيعِ يَشْعُ نَوْرًا  
يَعْرِفُنَا الْفَصِيحَةُ وَالْفَصِيحَا  
كَأَنَّ بَيْتَانِكَ التَّنْزِيلُ يَغْنِي  
مَحْيَا الضَّيَادِ فِي الْجَلَى لِيَا

يعز علي حفاظك أن تـراها  
 على ساح الردي عرضاً مباحا  
 زحمت غمارها الدامي زئيراً  
 وغيرك راح يقدمها نواحا  
 وصنت تراثها الزاكي وفاءاً  
 فشق مواكب الدنيا ولاحا  
 سموت على ذرى (تشيرين) نسرأ  
 تحطم لهم لطواغيت الجناحا  
 وترهق صولة الطاغى صموداً  
 وتكبح لهم لمغيرين الجماحا  
 وتخترق السدجى رأياً رشيداً  
 وثارات الميادين اجسدياها  
 وتسبق الصباح وأنت صبح  
 لتوقظ غفوة الثار اقتراحا  
 وتلجم في يمينك اريحياً  
 عن الشام الزلازل والبرياها  
 ومن لم يعتصم بالشام نهجاً  
 فمما عرفت مسيرته السناجا  
 ومما مر النسيم بغوطتيها  
 على ذكراك إلا العطر فاحا  
 وأسكر دوح سامرها هزاراً  
 وهدد وحشة الفصحى صدادا  
 فمما جازت غواذك الأعالي  
 حياء من حنانك والبطاها  
 فدم مجداً عريقاً بقرياً  
 وعمراً يشعل الدنيا صباحا

ويترفها الكريم من اللآلئ  
 على رغبم الدجينة والفلاح  
 تعرقت القصيدة واسستقامت  
 على نناديك غانية رداح  
 وساحرة ملامحها فتون  
 يوهج سحرها الغيد الملاح  
 تغازلها العطور وتقفى فيها  
 على النعمى وتنساح انسها  
 فذب يا عطر أطياباً غدواً  
 وكن يا شعر عذلة رواح  
 وما حرم الجمال بمسرتباح  
 ومن غبب الجمال فلا جناح  
 وللشعراء دنيا الله تبقى  
 مقاصيراً وسيراً مسرتباح  
 ومن بدع العجائب فقد تجلت  
 يراعك الأسنة والصفا  
 تضاحك غرة الدنيا بياناً  
 وتقذف في المرابين الرماح  
 فسبحان الذي أغناك نوراً  
 لترفد كل ساطعة صبا  
 حنوت على العروبة أريحياً  
 تضمد من جوارحها الجراح  
 وتسدل فوقها جفناك حباً  
 على أهوال محنتها وشاح  
 تطعن عن أمانيتها الرزايا  
 وتزرع في أعاليها السلاخ  
 جلوت شموخها العربي حتى  
 أتناح خلود عزتها أتاح



# نظرة الإسلام في القيم

هل يعيش الإنسان بلا قيم؟ وما دور الدين في بناء القيم عند أتباعه؟ وما هي أولويات القيم؟ وما دور القيم في حياة المجتمع والإنسانية، وما هو مصير مجتمع يعيش بلا قيم؟ تلك أسئلة تخطر بذهن القارئ الكريم، ولا بد له من أن يجد أجوبة نافعة تقتعه، ولا تترك فراغاً في تفكيره يشغله، وهذا ما سنحاول عرضه والإجابة عليه في هذا البحث، بشكل موجز ومكثف، بعيداً عن الإسهاب الممل أو الاختصار المخل!

عزيزي القارئ الكريم:

أدبيات القيم في الكتب السماوية كثيرة، وأغزرها وأوضحها وأبلغها نجده في القرآن الكريم، الذي أنزله ربنا تعالى على رسوله الصادق الأمين، الذي جمع الله فيه قمة الأخلاق : ((وإنك لعلى خلق عظيم)) وأرسله رحمة للعالمين، ليتمم الأخلاق، ويعلم الناس هذه القيم الرفيعة التي لا غنى لأي إنسان عنها البتة، ولا لأي تجمع ديني أو سياسي أو اقتصادي أو ثقافي، ولو انتصر بعض الوقت، أو نجح في بعض مشاريعه لفترة من الزمن، أو حالفه الحظ في مرحلة من مراحل الحياة المختلفة، قال (عليه الصلاة والسلام) : ((إنما بعثت معلماً، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) وقال تعالى : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) صدق الله العظيم.

## الدين أول القيم في حياة الإنسان والكائنات العاقلة:

من الضروريات الأساسية اللازمة للمخلوق العاقل (من ملائكة وجن وإنس) المعتقدات الدينية السماوية، لأن مصائر هذه المخلوقات إلى الله سبحانه وتعالى، كما أن مصدرها وبدايتها عن الله عز وجل، الذي خلق

بقلم الباحث :

راتب عبد الواحد

كل شيء، والمستغني عن كل شيء، والذي يحتاج إليه كل شيء!!

وإذا كانت الملائكة لا تستطيع أن تعصي الله عز وجل أصلاً: ((لا يعصون الله ما أمرهم ويفطون ما يؤمرون)) بينما المخلوقات الأخرى (الجن والإنس) وإن كان الله تعالى قد أعطاهما حرية الاختيار بين الكفر والإيمان، وبين الفعل وعدمه: ((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)). و ((من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)). فهذا لا يعني أنه لا يريد لها الهداية والطاعة والنجاة في الدنيا والآخرة، ولأجل هذا أعطاهما الله تعالى إلى جانب العقل المفكر، الرسل والأنبياء والشرائع السماوية، ليدلوها إلى الطريق القويم ويرشدوها إلى الأعمال الصالحة، ويربطوها بالقيم المثلى، فالدين مبعث الفضائل والقيم والمكرمات وبدونه يعيش الإنسان والمجتمع حياة الغابة وحياة الهمجية. فالكبير يأكل الصغير والغني يستبد بالفقير، والقوي يظلم الضعيف، والكثير يلغي القليل.

أما الدين فيعطي كل ذي حق حقه. ويعطي كل إنسان قيمته الطبيعية دون إنقاص أو إذلال. قال تعالى: ((لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)) وقال تعالى: ((ذلك الدين القيم)).

ظهور القيم: تظهر القيمة في السلوك الإنساني عبر جميع القطاعات النفسية - البيولوجية - والاقتصادية والاجتماعية والجمالية والدينية، تظهر في هيئة غاية للنية الواعية، التي تطلب الحرية، ولا قيمة بلا حرية ولا حرية بلا قيمة. ونشير هنا إلى أن الحيوانات باعتبارها مسخرة للإنسان، فإنها لا تعيش القيم ولا تعيش الحرية، لأنها من دون تفكير وتعيش بلا غاية، بعس الإنسان الذي يعيش التفكير والإرادة، فيخترع ويبدع ويبتكر

ويقرر ويعي ذاته وحاجاته، وما يدور من حوله وما سيؤول مصيره .

### أهم أنواع القيم:

١- العقائد الدينية : وتتمثل في أصول الدين وفروعه كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدرة، والموت والنشور والحساب الجنة والنار.. وغير ذلك.

٢- القيم الأخلاقية: كالصدق والأمانة والوفاء بالوعد وإغاثة الملهوف. وشكر من يقدم له معروفاً أو أفكاراً تنير له الطريق في الحياة، ليكون حبيباً للجميع، وناجحاً في سلوكه مع الآخرين.

٣- القيم الاجتماعية: كمساعدة المحتاجين بالمال والدواء والمأوى، وطاعة الوالدين، والتعاون بين الأخوة والأرحام والأقارب، والأصدقاء والجوار، على الخير والمعروف، وتعاون الزوجين على تربية الأولاد وتعليمهم وتنقيتهم، لما يصلح حياتهم في الدنيا وينقذهم في الآخرة، ومحاربة الباطل وأهله، ومحاربة الفساد والمفسدين في الأرض، والتعاون على قول الخير وفعل الخير وموقف الخير، والحفاظ على قيم الجمال للكون والطبيعة، والحوار من أجل علاقات اجتماعية أفضل، وغير ذلك من القيم الإنسانية والثقافية .

٤- القيم المادية: لكل شيء خلقه الله تعالى قيمة.. الجماد والنبات والحيوان، والثروات الباطنية من معادن مختلفة وبترول، وثروة مائية وهواء وبيئة، وعلى الإنسان أن يستثمر هذه القيم ويتقاسمها مع أخيه الإنسان بالعدالة

والسوية، ويشكر بالتالي المنعم بها، وأيضاً يشكر من أسدى إليه معروفاً من خلال اكتشافها أو الاستفادة من مجموعها، كل ذلك لتدوم نعم الله علينا والروابط الإنسانية بيننا، قال تعالى: ((لئن شكرتم لأزيدنكم)) وورد في الحكمة: (وبالشكر تدوم النعم) .

٥- قيمة الوقت: حيث هو كنز الحياة وأحد عناصر الحضارة والإنسان بقدر استثماره لعامل الزمن بما ينفع الناس بقدر ما هو يعيش حالة الحضارة، ويساهم في بنائها واستمرارها.

### حياة الإنسان قيمة عليا :

إن الإنسان أرقى مخلوق على الأرض، وقد دب الله فيه الحياة، وأمره بالمحافظة على حياته وحياة الآخرين، قال تعالى: ((من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً)) من هنا يجب على الإنسان ألا يودي بنفسه إلى التهلكة ولا يودي بالآخرين كذلك، قال تعالى: ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) حتى الإنسان مطالب بإنقاذ غيره من الخطر، فلو داهم الإنسان خطر ما، فعلى غيره أن ينبهه ويحميه من هذا الخطر قبل وقوعه، ومحاولة إنقاذه عندما يقع بكل ما أوتي من طاقة على ذلك، فلو أن أحد السابحين كان عرضة للخطر والغرق في الماء، فعلى الآخر إنقاذه، إذا كان يعرف السباحة، أو دعوة الآخرين لإنقاذه أو مساعدته بأية وسيلة ممكنة لإنقاذه.

### الإنسان كائن يحدد القيم:

اعتبار أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وجعله خليفة له في الأرض، فقد أوكل

إليه تحديد القيم المخلوقة والمسخرة له في الكون، وخصوصاً ما يقع على الأرض، وما يحيط بها من فضاء من ماء وهواء، وجبال وسهول ووديان، وأشجار ونبات، وأنهار وينابيع، وثروات باطنية، وثروات مائية كالأسماك والأصداف والكائنات العديدة الأخرى.

وما يدب على الأرض من دواب مسخرة كلها لخير الإنسان وبقائه، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى الإنسان أن يحسن استخدام هذه الأشياء ويحافظ على قيمتها، ليحافظ على كيانه معافى من الدمار والهلاك والفساد، ولا يكون كما الملائكة نظرت إليه نظرة سوداوية فيها الريبة، عندما أعلمهم الله بخلق آدم: ((أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)) وليكن على مراد الله تحت عنوان: ((إني أعلم ما لا تعلمون)).

إن اكتشاف الذرة واليورانيوم ينبغي أن لا يسخر لدمار الإنسان، بل لإعمار الكون وتدبير أمر الإنسان ليعيش حياة سعيدة، ولن يتحقق إلا بتحقيق العدالة الإنسانية، والحوار الإنساني على مبدأ كلمة (السواء) ! التي من أولوياتها عبادة الله تعالى وحده، وعدم اتخاذ بعضنا أرباباً من دون الله، باعتبار أننا جميعاً أعضاء في الأسرة الإنسانية العالمية، التي تنشئ الحق والخير والفضيلة والجمال. وهذه هي غاية الإسلام ((ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) [ الروم / ٣٠ ] ((فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله)) [ الروم / ٤٣ ] ((وقل إني هدايتي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً..)) [ الأنعام / ١٦١ ]

والحمد لله الذي رضي لنا الإسلام ديناً.



# أمطار الهوى !

شعر: خالد الحنين

يا أيها "الحلم" الساري به الخبر  
ماذا أقول "عصر" كله كدر  
تمر في البال أيام الحياة وما  
زالت مؤرقاة في بالنا الصور  
رق الفؤاد وشف الوجع في مقل  
وطاف كوكب هذي الغربة البصر  
ونحن من حلم دام إلى حلم  
ضاق الزمان كما ضاقت بنا حفر  
أنا الذي قذفته الأرض كارهة  
من وطأة الحزن، يا لنحزن ينفجر  
مرّي فصوتك أمطار الهوى رسمت  
في الخافقين شذا ما نحن ننظر  
هي الحياة مأس لا حدود لها  
ضجّ الخيال وقد ضاقت به الفكر  
والجرح مغترّب في الروح منكسر  
فكيف يقوى على الآهات منكسر  
نكاد نعجب من هول الجحيم وما  
يوماً تحرك ضد الغاصب البشر  
نام الأيمن على البلوى كأن به  
هذا الخنوع قد استشرى به الخدر  
كأنه الوهن الدامي يطوف بنا  
و المصائب لا تُبقي ، ولا تذر  
هي المربع غصت في كآبتها  
ماذا دهي وطن الأحلام يندثر

عَادَ التَّتَارُ وَسَاحَ الْعَرَبُ مَنَهْزَمَ  
وَالْبَاكِيَاتُ عَلَى الْأَطْلَالِ تَنْتَشِرُ  
غَابَ الضِّيَاءُ فَلَا صَبْحَ يَجِيءُ سَنَا  
وَكَادَ يَرْحَلُ عَنْ آفَاقِنَا الْقَمَرُ  
فَمِنْ سَمِيعِ صَوْتِ الْمَيِّتِينَ إِذَا  
نَادَى عَلَى جُثَثِ خَرَسَاءٍ تَحْتَضِرُ  
لَيْتَ الزَّمَانُ يَعِيدَ الْعَمَرَ ثَانِيَةً  
أَوْ أَنْ يَرُدَّ خَطِي أَحْبَابِنَا السَّافِرُ  
إِنَّ الْحَوَادِثَ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ  
فَلَا الصَّاحِبُ بَقَاؤُهُ فِينَا وَلَا السَّامِرُ  
أَمَّا رَأَيْتَ حَرَابَ الشَّرِّ زَاحِفَةً  
وَالذَّنْبُ يَلْمَعُ فِي أَحْدَاقِهِ الشَّرُّ  
صَبَّأُوا الْبَلَاءَ عَلَى أَهْلِ لَنَا وَمَشَّوْا  
فَوْقَ الْجَرَاحِ، فَلَا دَرْسَ وَلَا عِبْرَ  
وَنَحْنُ نَصْرُخُ، وَالْأَوْهَامُ تَذْبَحُنَا:  
جئنا نُسَاعِدُ... يَا أَصْحَابَ فَاظْطَرُّوا  
وَنَحْنُ مِثْلَ جَنُونِ الْمَوْجِ نَمْضِي سِدًى  
وَعَنْ مَوَاقِعِ هَذَا السَّاحِ نَنْحَسِرُ  
أَطْفَالُ أُمْتِنَا نَصْرُجُ يَجِيءُ غَدَاً  
يَحْفُفُ رُكْبَهُمُ الْآتِي غَدَاً ظَفَرُ  
أَيُّنَ الْأَبَاءِ بَطَاحُ الْكُونِ مَلْعَبُهُمُ  
الْكُونُ تَحْتَ خَطَاهُمْ مَادَ إِنْ عَمِلُوا  
هُمْ الرِّجَالُ وَلِلتَّارِيخِ مَا تَرَكُوا  
وَهُمْ كَتَائِبُ مَا أُعْطِيَ لَنَا مَضَرُ  
نَادِي فَإِنْ جَمْعُ النَّارِ زَاحِفَةً  
إِذَا ادَّهَمَ بِسَاحِ الْأُمَمَةِ الْخَطَرُ  
إِنِّي قَتِيلُكَ عَشَقًا يَا رَبِّي وَطَنِي  
وَالْوَعْدُ لِحَظَّةٍ يَرُوي غُلَّنا مَطَرُ

# أدب المناظرة في العصر العباسي

الجزء ١

بقلم:

د. صالح الأشر

صدر عن المجمع العلمي العربي  
بدمشق طبعة نقدية ممتازة كتاب (الحيدة)  
للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني المتوفى  
سنة ٢٤٠ هـ ، بتحقيق الأستاذ الجليل  
الدكتور جميل صليبا.. وقد كانت فرحتنا  
بصدور الكتاب عظيمة حقاً، فقد أصبحنا  
اليوم نملك طبعة علمية لهذا الكتاب النفيس  
بعد أن كان رهين التصحيف والتشويه في  
طبعااته التجارية القديمة، على أنها كانت  
نادرة الوجود أيضاً..

لهذا الكتاب قيمة كبيرة لأنه وثيقة  
هامّة تصور جانباً من أدب المناظرة في  
العصر العباسي، وسنحاول في هذه المقالة  
أن نرصد قيمة الكتاب ونقدم عرضاً ملخصاً  
لما فيه، ليعرف قراء (الثقافة) فضله  
ويحرصوا على الانتفاع به.

يرسم الكتاب صورة من صور  
الحركة الفكرية في عصر المأمون، أزهى  
مرحلة من مراحل العصر العباسي، وهو  
قطعة نفيسة من أدب المناظرة والمحاورة،  
وكانت مناهج البكالوريا عندنا قبل عقدين  
من السنين تفرض على الطلبة دراسة  
مختارات من الكتاب ليروا فيها مشهداً من  
مجالس الجدل الفكري في تاريخنا..

والكتاب يثير مشكلة من أهم  
المشاكل الفكرية في الإسلام، وهي المشكلة  
التي أثارها المعتزلة بدعوتهم إلى القول  
بخلق القرآن: وعندما استطاعوا أن يكسبوا  
عدداً من الخلفاء العباسيين إلى مذهبهم  
أصبح القول بخلق القرآن عقيدة الدولة  
خلال عشرين عاماً من حكم المأمون

والمعتصم والوائق.. والعجيب أن يقود المعتزلة وهم أحرار الفكر في الإسلام سيف الإرهاب لإرغام المفكرين على القول بدعوتهم، وأن يلقوا بخصومهم في السجون، وأن يصبوا عليهم كل ألوان المحنة والبلاء، وكذلك مزقت الشياطين جسم الإمام أحمد بن حنبل وقضى سنة ونصف السنة في غياهب السجون، في سبيل هذه المشكلة الفكرية التي لا يكاد تاريخ الإسلام يعرف لها مثيلاً!

والكتاب بعد ذلك ذو أسلوب رائع، من النمط العالي في الجودة، يسرق حيناً ويسهل حتى يقف القارئ مشدوهاً أمام بساطته ويسره وموسيقيته، وهو يعرض أفكاراً فلسفية لم تغب عنها أصابع أرسطو، وقد أحكم الكنانى صياغتها فجاءت مزيجاً فائقاً من الأدب والفلسفة، امتزجت فيه الثقافة العربية الخالصة بالثقافات الأجنبية الأخرى..

قبل أن تنتقل إلى المناظرة يحسن أن نقدم (اشخاصاً) وهم:

١- عبد العزيز بن يحيى الكنانى: رجل مكى من أهل الحديث والسنة، غربي من قبيلة كنانة: أجمع كل من ترجم له، كالخطيب البغدادي وابن حجر والعسقلاني على أنه "كان من أهل العلم والفضل"، وهو ينهض في المناظرة بتمثيل أهل السنة في رد القول بخلق القرآن.

٢- بشر بن غياث المريسي: أعجمي من الموالي، من رؤوس المعتزلة القائلين

بخلق القرآن، في بغداد، وهو يمثل في المناظرة رأي شيعته من المعتزلة.

٣- محمد بن الجهم: معتزلي، له في المناظرة دور صغير إلى جانب بشر المريسي.

٤- المأمون: سابع الخلفاء العباسيين، امتدت خلافته من عام ١٩٨ إلى ٢١٨ هـ، وفي آخر خلافته بدأ القول بخلق القرآن: وهو ينهض في المناظرة بمهمة الحكم بين المتناظرين، وهو - كما يصوره الكتاب - حكم هادئ نزيه منصف، أو كما يصفه الدكتور صليباً بقوله "كان عقله معتزلياً وقلبه سلفياً، فلا يشأ أن يطغى عقله على قلبه، ولا قلبه على عقله".

تبقى هنالك ملاحظة لا بد من عرضها قبل الوصول إلى المناظرة، وهي ما أثير حول (الحيدة) وصحة نسبة الكتاب إلى عبد العزيز الكنانى، فالذهبي في (ميزان الاعتدال) يقول: "لم يصح إسناد كتاب الحيدة إليه، فإنه وضع عليه أفكاً" والسبكي في طبقات الشافعية يرى رأي شيخه الذهبي أيضاً..

وعند عرض الدكتور جميل صليبا لمناقشة هذا الرأي مطولاً، وانتهى إلى القول بأن الكتاب في أصوله القليلة صحيح النسبة إلى الكنانى وأن المريدين والمؤيدين والنساخت أضافوا إلى الأصول إضافات لم تغير جوهر الكتاب، ولم تبدل معانيه ومقاصده.

(المقدمة ص: ٢٣).

- ولم أعلنت وكان الأسرار أولى بك أن تسلكه؟  
فأجاب:  
- أخاف ألا أصل بعد ذلك إلى أمير المؤمنين!  
وعين يوم اجتمع فيه جمع عظيم من العلماء القائلين بخلق القرآن في مجلس المأمون وحمل عبد العزيز إليه..  
ولما أذن له بالدخول بدأ ينتقل من دهليز إلى دهليز حتى صار إلى الحاجب فسأله عن تجديد الوضوء فاستمهله حتى صلى ركعتين ثم دخل المجلس..  
إليه الأنظار وتتابع الهمسات من كل جانب ورشقة العيون بالنظرات القاسية وسمع وهو في طريقه إلى المأمون من يهمس في أذنه:  
- يا أمير المؤمنين يكفيك من كلام هذا وجهه فوالله ما رايت خلقاً لله أقبح وجهاً منه!  
فأسرها عبد العزيز في نفسه ووقف على خطوات من السرير وألقى السلام على أمير المؤمنين! فرد المأمون السلام واستدنا منه مرات حتى صار إلى الموضع الذي يجلس فيه المتناظرون ثم أمر بالجلوس فجلس خائفاً وجلاً مرتعداً، ثم سأله المأمون عن حاله، يريد إيناسه وصرف الخوف عنه ثم تغافل عنه وسأله عمرو ابن مسعدة عن انتفاخ في بعض نقوش الجص من الإيوان فأجاب عمرو: قطع الله يد صانعه فإنه استحق العقوبة على عمله هذا.  
ثم التفت المأمون إلى عبد العزيز وقال:

أقبل الرجل من مكة مع ابنه، يدفعه إلى بغداد إيمان يؤج في صدره فقد اتصل وهو في مكة ما قام به بشر بن غياث المريسي ومحمد بن الجهم من القول بخلق القرآن، وما جر ذلك القول على الناس من فتنة وإرهاب، وإكراه وتعذيب..  
الرجل من كنانة، ومن ذوي البأس والعلم في قومه، نذر نفسه لله، واستهان بالقتل في سبيله، فترك أهله وذويه في مكة، ومشى مع ابنه إلى الله!  
دخل بغداد في صبيحة الجمعة، وسأل عن مسجد الجامع حتى أتاه، وأقيمت الصلاة جامعة وصلى الإمامة فإذ صوت رجل يدوي في المصلين:  
- يا بني، ما تقول في القرآن؟ فيرد عليه صوت جهوري:  
- القرآن يا أبت كلام الله منزل غير مخلوق!  
ويسمع المصلون ذلك فينفرون من الفتنة، ويتواثبون للهرب من بطش السلطة. ذلك أنهم سمعوا ما لم يكن أحد يجروء على إذاعته في الناس..  
ويقبض اصحاب السلطان على الرجل وابنه ويحملان إلى عمرو بن مسعدة وكان في المسجد، فيسأله من أنت؟  
- أنا عبد العزيز بن يحيى من مكة من بني كنانة!  
- ما حملك على أن تقول بما قلت؟  
- القرية والزلفة إلى الله ورجاء الوصل وإلى أمير المؤمنين والمناظرة بين يديه ليس غيراً.



- يا عبد العزيز لقد عرفت ما كان من أمر فأمرت بجمع مخالفيك لتناظرهم في حضرتي وفي مجلس أكون أنا الحاكم بينكم فإن تبين الحجة لك عليهم والحق معك اتبعناك وإن تكن الحجة لهم عليك والحق معهم عاقبناك وإن استقلت منذ الآن اقلناك..

ثم نادى المأمون بشراً أن يقوم إلى مناظرة عبد العزيز فوثب بشر من موضعه كالأسد يثب إلى فريسة فانحط عبد العزيز فوضع ركبتيه وفخذه الأيسر على فخذه الأيمن فكاد أن يحطمه فصاح عبد العزيز:

- مهلاً فإن أمير المؤمنين لم يأمر بك بقتلي وإنما أمرك بمناظرتي..

فصاح به المأمون أن يبتعد عنه

ثم قال:

- يا عبد العزيز ناظره على ما تريد واحتج عليه، ويحتج عليك، وتسأله ويسألك وتناصفا في كلامكما وتحفظا الفاظكما فإنني مستمع عليكما..

فقال عبد العزيز :

- السمع والطاعة لأمر المؤمنين ولكني أحب أن أقول شيئاً فهل يأذن أمير المؤمنين؟

- قال: قل كما تريد!

- فقال عبد العزيز: يا أمير المؤمنين من أجمل من بلغك من البشر وأحسنهم وجهاً من جميع ولد آدم؟

- فقال المأمون بعد أن أطرقت هنيهة:

- يوسف !

- قال عبد العزيز: صدقت يا أمير المؤمنين فوالله ما أعطي يوسف على حسن وجهه جرارتي، ولقد سجن

وضيق عليه من أجل حسن وجهه ظملاً بغير حق: ثم ما كان من تعبيره للرؤيا وصدق نظره أن جعله الملك على خزائن الأرض، فكان ما بلغه يوسف كله بكلامه وعلمه إلا بجماله وحسن وجهه! قال الله عز وجل (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين. قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليه) ولي يقل إني حسن جميل.. أجل يا أمير المؤمنين إني قبيح الوجه فأني عيب يلحقني في صنعة ربي! لقد أنكر عمرو منذ قليل انتفاخ الجص في الإيوان فعاب الصانع ولم يعب الجص!

فقال المأمون:

- العيب إلا على الشيء المصنوع إنما لعيب على صانعه!

- فقال عبد العزيز: صدقت يا أمير المؤمنين إن من همس في أذنيك عن قبحي لم يعب وجهي، وليس له ذلك وإنما عاب خالق وجهي!!

فتبسم المأمون وطلب من عبد العزيز أن يدخل المناظرة ولكن عبد العزيز يسأله عن الأصل الذي يعود إليه المتناظرون عند الاختلاف في الفروع فيطلب المأمون منه أن يذكر الأصل فيقول عبد العزيز: الأصل في ذلك يا أمير المؤمنين كتاب الله وسنة رسوله لا غير كما أمرنا الله قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً) فهذا تعليم من الله وتأديبه

واختياره، ولقد تنازعت أنا وبشر وبيننا كتاب الله أولاً وسنة رسوله ثانياً، ثم لا شيء بعد ذلك، ثم يكون القرآن بيننا بعض التنزيل لا بالتأويل لأن من الحد في كتاب الله زائداً أو جاحداً لم ينظر بالتأويل ولا بالتفسير: ولقد قال تعالى لنبيه حين ادعت اليهود تحريم أشياء لم تحرم عليهم (فأتوا بالتوراة فاتلوها وإن كنتم صادقين) وقال (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً) فإنما أمر الله نبيه بالتلاوة ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكون التأويل لمن آمن بالتنزيل فأما من الحد بالتنزيل فكيف يناظر بالتأويل؟

- قال المأمون: فناظره بالتلاوة ونص التنزيل!

### المناظرة:

قال عبد العزيز فأقبلت على بشر فقلت:

- يا بشر ما حجتك أن القرآن مخلوق؟  
- فقال بشر: تقول يا عبد العزيز القرآن شيء أم غير شيء؟ فإن قلت شيء فقد قررت أنه مخلوق، إذ كانت الأشياء وكلها مخلوقة بنص التنزيل، وإن قلت أنه ليس بشيء فقد كفرت لأنك تزعم أن حجة الله على خلقه ليس بشيء.

- قلت: ما رأيت أعجب منك تسألني وتجيب عن نفسك، إسألني وأنا أحسن أن أجيبك، وإن ترد أن تخطب وتتكلم لتدهشني وتنسيني. حجتى فلن أزداد بإذن الله إلا توفيقاً!

- فقال المأمون: اسمع يا بشر من عبد العزيز جوابه!  
- فقلت: سألت يا بشر عن القرآن هو شيء أم غير شيء، فإن كنت تريد أنه شيء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم فنعم هو شيء: وإن كنت تريد أن الشيء اسم له وأنه كالأشياء فلا!  
- فقال بشر: ما أدري ما تقول ولا أفهم ولا أعقله ولا بد من جواب يفهم ويعقل!  
- فقلت: إنك يا بشر لا تفهم ولا تعقل (أن شر الدواب عنده الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين) .. ولو فهمت وعقلت ما سمعت لكنت ممن أثنى عليهم الله وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق و (قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير).  
- فقال المأمون: عد يا عبد العزيز فأشرح ما كنت قلت!  
- فقلت: إن الله أجرى كلامه يا أمير المؤمنين على ما أجراه على نفسه، إذ كان كلامه من ذاته ومن صفاته فلم يتسم بالشيء ولم يجعل الشيء إسماً من أسمائه ولكنه دل على نفسه أنه شيء وأنه أكبر الأشياء إثباتاً للوجود ونفياً للعدم وتذيباً للزنادقة الذين جحدوا معرفته وأنكروا ربوبيته من سائر الأمم، فقال لنبيه (قل أي شيء أكبر شهادة قل لله شهيد بيني وبينكم) فدل على نفسه

أنه شيء لا كالأشياء، وهو القائل (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ثم عدد أسماءه في كتابه ولم يتسم بالشيء، وعدد الرسول أسماء الله تسعة وتسعين اسماً فلم تجده يجعل الشيء اسماً. ثم ذكر الله كلامه كما ذكر نفسه ودل عليه مثل ما دل على نفسه ليعلى الخلق كلامه من ذاته وأنه صفة من صفاته فقال: (وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للنفس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) فذم الله ما نفى أن يكون كلامه شيئاً ليس كالأشياء كما دل على نفسه أنه شيء وليس كالأشياء وقال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه بشيء) ولما أراد الله أن يسمي كلامه أظهر باسم الكتاب والنور والهدى. قال (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) ولم يقل: قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسى: ويجعل الشيء اسماً لكلامه، وإنما هو نور وهدى وشفاء ورحمة وحق وقرآن وفرقان!

- قال بشر: يا أمير المؤمنين قد أقر عبد العزيز أن القرآن شيء وادعى أنه ليس كالأشياء وقلت أنا أنه كالأشياء فليأت بنص التنزيل: وإلا فقد صح قولي أنه مخلوق إذ كنا جميعاً قد اجتمعنا على أنه شيء والله يقول (خالق كل شيء) بنص التنزيل!

وهنا تعلو ضجة في المجلس وتتوالى الصرخات (جاء الحق وزهق الباطل) وطمع الناس في قتلى فقلت بعد أن أمرهم المأمون بالهدوء:

- قال الله تعالى: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وقال (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) فدل بذلك على أن كلامه ليس كالأشياء وأنه غير الأشياء وأنه خارج على الأشياء. ولقد أنزل الله خبراً مفرداً ذكر فيه خلق الأشياء كلها فلم يدع منها شيئاً إلا ذكره وأدخله في خلقه، وأخرج كلامه وأمره من جملة الخلق، وفصله منها ليدل على أن كلامه غير الأشياء المخلوقة وخارج عنها فقال (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسيرات بأمرة إلا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) وقال (ولله الأمر من قبل ومن بعد) أي من قبل الخالق ومن بعده.. وهو يذكر الله خلق المخلوقات بقوله وكلامه فقال (هو الذي خلق السموات والأرض بالحق) ويوم يقول كن فيكون قوله وما بينها إلا بالحق) وقال (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناها إلا بالحق) فأخبر عن خلق السموات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئاً من الخلق إلا ذكره عن خلقه أنه ما خلقه إلا بالحق وأن الحق قوله وكلامه الذي به

خلق الخلق كله، وأنه غير الخلق وأنه خارج عن الخلق وغير داخل في الخلق!

- فقال بشر: ادعيت أن الأشياء لا تكون بقوله ثم جئت بأشياء متباينات متفرقات وزعمت أن الله يخلق بها الأشياء فأكذبت نفسك ونقضت قولك ورجعت عما ادعيت من حيث لا تدري وأمير المؤمنين شاهد عليك!

- فقلت: زعمت يا بشر أنني جئت بأشياء ومتفرقات وادعيت أن الله خلق الأشياء وما قلت إلا ما قال الله عز وجل، ولا أقول أن الله خلق الأشياء بقوله وكلامه وأمره بالحق، وهذه أربعة أشياء لشيء واحد، لأن كلام الله هو كلامه وهو أمره وهو الحق!

- قال بشر: فأين هذا من التنزيل؟

- قلت: قال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجرت حتى يسمع كلام الله) وقال (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل) و (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك) و (إذا تتلى عليهم آياتنا قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا) . وقال (حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا، الحق) وقال (ذلك أمر الله أنزله إليكم) و (إنا أنزلناه في ليلة مباركة..) على أن يقول: (أمرنا من عندنا أنا كنا مرسلين) يعني القرآن!

- فقال المأمون: أحسنت يا عبد العزيز.

- فقال بشر: لقد أقر يا أمير المؤمنين بين يديك أن القرآن شيء فليكن عنده كيف

شاء فقد اتفقنا جميعاً أنه شيء وقال تعالى (الله خالق كل شيء) فهذه لفظة لم تدع شيئاً إلا أدخلته في الخلق، وبذلك صار القرآن مخلوقاً بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير!

- فقلت: قال الله تعالى في قصة عاد: (تدمير كل شيء بأمر ربها) فهل أبقت الريح يا بشر شيئاً تدمره؟

- فقال بشر: لا!

- فقلت: لقد أكذب الله عز وجل من قال هذا إذ قال (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فأخبر أن مساكنهم كانت باقية بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياء كثيرة!

- اسمع يا بشر قال تعالى: فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وقال (وقال وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) فهل تقر يا بشر أن الله علما كما أخبرنا وتخالف التنزيل؟

وهنا أحس بشر بالحرَج: فهو أن قال أن الله علماً فسأله عن علم الله هل هو داخل في الأشياء المخلوقة أم لا؟ وأن أنكر الله علما فهو ينكر نص التنزيل فهو كافر.. وأخيراً قال لي:

- الله لا يجهل!

- فقلت: ليس هذا جوابك يا بشر: أنت حدث عن الجواب!

التتمة في العدد القادم

# صبيحة عربية

د. سعاد الصباح

أجـبـوا الحـقـاً ذـئـهـا الأـشـقـيـاء  
لـم تـمـت فـي عـرـوقـنا الكـبـريـاء  
مـن حـنايا عـروبـتي رـضـع المـجـى  
ذـو كـان الغـلا وهـان الفـداء  
أنا أمـي الغـراء فاطـمة الزهـرا  
عـ وأخـتي العـظيـمة الخـنـساء  
وأبـي يعـربـ الـذي بـارك الأـرـض  
ضـ وقـامت فـي ظـلـه الأثـبـياء  
وأخـي قاهـر الغـزاة الصـليبيـي  
يـيـن يا لـيت تـنـطق الأـشـلاء  
ودـيـاري مـبرورة بالضـحـايا  
ولـداتـي الأبطـال والشـهداء  
هـؤلاء الكـرام قـومـي فـقـولـوا  
مـن هـم قـومـكم ومـن أيـن جـاؤوا  
مـن أبـوكـم مـن أمـكم مـن ذـوكم  
أيـن تـاريخكم وأيـن البـناء



خَيْرُ أَسْلَافِكُمْ ذَرَّتْهُ السُّوْافِي  
وَطَوَّتْهُ فِي تِيهِمْ سَاسِيْنَاءُ  
هَذَا أَدْبَرُوا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ  
بَعْدَ مُوسَى فَكُنْ لَكُمْ لَقْطَاءُ  
أَيُّهَا الْعَالِقُونَ فِي ذِيْلِ أَمْرِ  
كَمَا وَبَّالِدُونَ يَعْزِلُ الْأَدْنِيَاءُ  
كَمْ بِتَدْبِيرِهَا تَهْلُوتُ حَقْوُوقُ  
وَسَرَتْ فَتَنَةً وَعَمَّ بِسَلَاءُ  
كَمْ عَلَى نَارِهَا تَلْظَّتْ شُعُوبُ  
وَاسْتَبِيحَتْ أَطْفَالُهَا وَالنِّسَاءُ  
غَيَّرَ أَنْ الرِّحَى تَدُورُ عَلَى الْبَا  
غِي وَبَعْدَ الصَّبَاحِ يَأْتِي الْمَسَاءُ  
انْظُرُوا مَا يُصِيبُهَا فِي فِتْنَا  
مَ تَرَوْا كَيْفَ يَصْمُدُ الضُّعَفَاءُ  
وَانْظُرُوا السُّوْدَ جَانِّعِينَ وَلَكِنَّ  
هَمْ بِتَأْيِيدِ رَبِّهِمْ أَقْوِيَاءُ  
يَا بِلَادَ الْهَوَانِ يَا أُمَّ صُوهِيُو  
نَ وَبِالْأُمِّ يَعْزِلُ الْأَبْنَاءُ  
يَا بِلَادَ الْمُهَاجِرِينَ وَمِنْهُمْ  
جَاعَتْنَا الضُّعَائِعُونَ وَالْذَهْمَاءُ  
أَنْتِ أَرْسَلْتِهِمْ لِإِنْشَاءِ مُلْكِ  
فِي بِلَادِي قَوْمُوهُ الْغَوَغَاءُ

أنت حرّضتهم على نزع أرضي  
حسبي الله إن أرضي سماء  
باركتها المقدّسات العوالي  
ومشي في ظلالها الأنبياء  
زين أيامها بشارة عيسى  
ومصايب ليها الإسراء  
غالبها سارقو الكنائس جهراً  
فدع الصمت وانفض يا إساء  
أصدقائي من كل أرض ولون  
نحن للثأر أيها الأصـدقاء  
إشـهدوا ما تخـطئه يـد أمـريـه  
كما وتلك الريبة النكراء  
واشـهدوا أنـنا سنثـار لـنـا  
به والله كم يهـون الفـداء  
ويباهي بنا النـبي ويرضـى الـ  
بيت عـنا والقـبـة الغـراء  
وتعـودين يا حـبيـبة يا قـدس  
ويرضـى المـسـيح والغـراء  
ولنا ناصر مـن الله إن الـ  
له يجزي بنصره مـن يشـاء

# الدكتور خليل صعاباته مؤسس كلية الإعلام في القاهرة وأول باحث في تاريخ الطباعة العربية

بقلم:

عيسى فتوح

هاجرت أسرة صعابات الدمشقية من دمشق إلى بيروت في أواخر القرن التاسع عشر، بهدف تحسين أحوالها المادية، وبحثاً عن حياة أفضل فيها، ثم قصد الأخوان ميشال ويوسف صعابات القاهرة فعمل الأول خياطاً، وعمل الثاني في محلات سليم وسمعان صيدناوي الشهيرة للألبسة الجاهزة، وكان يمتلك ثقافة عادية، لكنه يتقن اللغة الفرنسية (هجرة الشوام إلى مصر للدكتور مسعود ضاهر ص ١٩٩) .

رزق يوسف صعابات ثلاثة أولاد أكبرهم خليل الذي ولد بحي الفجالة في القاهرة في ٣ حزيران ١٩١٩ وتلقى علومه في إحدى المدارس الخاصة، ولما نال شهادة الدراسة الثانوية ١٩٣٨ انتسب إلى قسم اللغة الفرنسية في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة اليوم) وتخرج فيها عام ١٩٤٢، ثم عين مدرساً للغة الفرنسية في إحدى المدارس الحكومية بطنطا، ولما لم يرقه هذا العمل تركه والتحق بمعهد التحرير والترجمة والصحافة في كلية الآداب، وسجل رسالة للدكتوراه موضوعها "تاريخ الطباعة في الشرق العربي" نوقشت عام ١٩٥٤ ونال عنها درجة الدكتوراه بامتياز.

لقد لفتت رسالته عن تاريخ الطباعة نظر أستاذه الدكتور إبراهيم عبده، فعينه مساعداً له، وتدرج في عمله بهذا المعهد - الذي تحول إلى كلية للإعلام - حتى أصبح عميداً له.

أصدر الدكتور خليل صعابات بعد كتابه "تاريخ الطباعة في الشرق العربي" عدة كتب منها: قصة الطباعة، والإعلام، وحرية الصحافة في مصر منذ سنة ١٧٩٨ حتى سنة ١٩٢٤ بالاشتراك مع الدكتور لبيب رزق، وكتاب "وسائل الاتصال نشأتها وتطورها" الذي طبع حتى الآن ثمانى طبعات، كما ترجم كتاب "تاريخ الكتاب" عن الفرنسية لأريك دي جروليه وصدر في سلسلة الألف كتاب، وأشرف على أكثر من مائة رسالة ماجستير ودكتوراه.

كتب لي رسالة مطولة في ٢٨ آذار ١٩٩٨ قبل أن يقعه المرض.. حدثني فيها عن كتابه "تاريخ الطباعة في الشرق العربي" فقال: إن الطباعة العربية ظهرت في أوائل القرن السادس عشر، وأول مطبعة عربية ظهرت في بلدة "فانو" بإيطاليا، طبع فيها كتاب "صلاة السواعي" عام ١٥١٤ ثم مزامير داوود عام ١٥١٦ في أربع لغات منها العربية.. وفي عام ١٥٣٠ طبع القرآن الكريم في البندقية، إلا أن طبعة ألفت خوفاً من تأثيره على معتقدات النصارى، لكنهم عادوا فطبعوا الترجمة الإيطالية الأولى له سنة ١٥٤٧، ثم تعددت المطابع العربية في أوروبا، وطُبعت فيها مئات الكتب العربية وأكثرها في لندن.

أما في الوطن العربي فمن المتفق عليه أن السوريين كانوا السباقين إلى الطبع بالأحرف العربية، وأسبق المدن إلى هذا الفضل هي مدينة حلب، وأول كتاب طبع فيها عام ١٧٠٢ كان في مطبعة حلب التي تأسست

بمساعي البطريك أنثاسيوس الرابع الدباس وكان كتاباً طقسياً كنسياً، ثم طبع فيها الإنجيل والمزامير عام ١٧٠٦، وقد جاء البطريك بأدوات هذه المطبعة من رومانيا التي زارها عام ١٦٩٨، واستعان بعد عودته بالشماس عبد الله زاخر الذي ولد في حماة عام ١٦٨٠، وكان صائغاً وصانعاً ماهراً، فصب لها الحروف العربية، وطبع فيها عشرة كتب، وقد عاشت هذه المطبعة حتى سنة ١٧١١.

أما لبنان فإن أقدم مطبعة عربية عرفها هي مطبعة مار يوحنا الصايغ التي أسسها الشماس عبد الله زاخر في الشوير عام ١٧٣٣ وطبع فيها الكثير من الكتب الدينية، مثل كتاب المزامير الذي طبعه طبعين، والكتب التاريخية والأدبية.. وإذا كانت مطبعة دير مار قزحيا قرب إهدن قد تأسست عام ١٦١٠ إلا أنها لم تكن مطبعة عربية بل سريانية، ولم تطبع إلا كتاباً واحداً، ثم توقفت عن العمل.

وأضاف في رسالته، لقد انتشرت المطابع بعد ما شعر الشعب أنه بحاجة إلى أن يتعلم، فالعلم هو السبب الحقيقي لانتشار الطباعة..

صحيح أن نابليون بونابرت حمل معه مطبعة في أثناء حملته على مصر سنة ١٧٩٨ لطبع منشوراته، لكنه عاد بها إلى فرنسا بعد انتهاء حملته التي دامت ثلاث سنوات، وليس صحيحاً أن الفرنسيين تركوا مطابعهم وحروفهم في مصر، وأن محمد علي باشا استعان بهذه المطابع وحروفها، وقد ذهبت إلى فرنسا عام ١٩٥٠ وزرت محفوظات وزارة

الحربية فيها للتأكد من ذلك، فأكد لي المشرف على هذه المحفوظات أن الحروف عادت مع انتهاء حملة نابليون سنة ١٨٠١ وأنها وصلت إلى ميناء طولون، ثم نقلت إلى باريس، وكانت هذه الحروف عربية وفرنسية ويونانية لأنه كانت في مصر يومئذ جالية يونانية كبيرة.

### مطبعة بولاق ودور نقولا مسابكي

#### الدمشقي

وقال لي في رسالته التاريخية المهمة: إن مصر بقيت بعد جلاء الفرنسيين عشرين عاماً بلا مطبعة، حتى استقرت الأمور لمحمد علي فأسس مطبعة بولاق سنة ١٨١٩ وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكي الدمشقي الذي كان قد أتقن فن الطباعة في إيطاليا التي سافر إليها عام ١٨١٥ وقضى في ميلانو أربع سنوات تعلم خلالها صناعة الحروف وسبكها (وربما لقب بالمسابكي لأنه كان يسبك الحروف) ولما حط رحاله في مصر اشتغل في جمع طاقم من الحروف العربية والتركية وتدريب العمال، وطُبع في هذه المطبعة معجم إيطالي عربي عام ١٨٢٢ واجرومية باللغة العربية الفصحى لأحد علماء القاهرة، وقد ظل نقولا مسابكي مديراً لمطبعة بولاق حتى وفاته سنة ١٨٣٠.

وختم رسالته لي بأنه زار مسقط رأس أبيه يوسف صعابات بدمشق في الثلاثينات، حين كان في الحادية - نرة من عمره، ثم زارها عام ١٩٥٢، حين كان يقوم بجمع

المعلومات عن تاريخ الطباعة لإعداد رسالة الدكتوراه، وقد زوّده كبار الباحثين والصحفيين وأصحاب المطابع بمعلومات مهمة تتعلق بصناعة الطباعة في سورية أفادته كثيراً.. وقال إنه منذ عام ١٩٥٠ وحتى اليوم لا يزال يجمع المعلومات ويزيد وينقح كتابه الفريد عن الطباعة، ويعتبر أن رسالته مفتوحة لن تغلق مادام على قيد الحياة، وما دام قادراً على القراءة والبحث والتنقيب..

إنه يقضي وقته في العمل.. وفي القراءة أولاً، ثم في الكتابة إن لم يذهب إلى كلية الإعلام التي أمضى فيها نصف قرن، وفي مواسم الأوبرا والحفلات الموسيقية الكلاسيكية يحجز أو تحجز له زوجته مكانين في الأوبرا ليتذوقا فيها أنغام الموسيقى الناعمة، وقفزات رقص البالية الهادئة، وكبار السن في مصر ينعمون بتخفيض في هذه الحفلات يصل إلى خمسين في المائة من ثمن بطاقة الدخول، وأجمل ما في هذا المسرح مواعيده التي تبدأ في الثامنة وتنتهي في الغالب في العاشرة أو العاشرة والنصف، يعود بعدها إلى بيته وقد امتلأ ذهنه برحيق موسيقى حالمة تربطه بالحياة أكثر فأكثر، فادعو للمفكر الذي قال: "إن الموسيقى تشذب السلوك وتهذب" وأطالب بأن يتذوق أبناؤنا الطلبة هذه الموسيقى ليتهذبوا ويزدادوا حباً بالفن وإدراكاً له.

لم يكتب لي د. خليل صعابات بعد هذه الرسالة شيئاً لأن المرض أقعده عن الكتابة بعد أن تجاوز الثمانين، شفاه الله.



# رسائل

## من

## والد

## إلى

## ولده

بقلم:

أ. ضياء الدين ظاها

ظهر في الأدب العربي المعاصر نوع من الكتب ذو طابع تعليمي وتربوي على شكل رسائل موجهة من الآباء إلى أبنائهم، لتكون لهم هداية ونبراساً في حياتهم وسلوكهم وهم في ديار الغرب حيث يتابعون دراستهم دون أن يكون عليهم رقيب أو حسيب. ومن هذا النوع نجد ثلاثة منها هي:

- ١- من والد إلى ولده لأحمد حافظ عوض.
  - ٢- رسائل إلى ولدي لمحمد حسين هيكل مؤلف رواية "زينب".
  - ٣- إلى ولدي للكاتب العلامة أحمد أمين، وهي رسائل نشرها على صفحات مجلة "الهلال" ثم جمعها في كتاب.
- ولا ريب أن هذا النوع من المؤلفات ليس من ابتداء الأدباء العرب، فقد سبقنا إليها الكتاب الأوروبيون.
- والكتاب الذي نحن بصدد عرضه ودراسته هو "من والد إلى ولده" الذي صدرت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٢٣/، ثم أعاد تحقيقه سعيد المقداد وظهرت طبعته الثانية بدمشق سنة ١٩٨٦/.

### حياة الكاتب

فمن هو مؤلف الكتاب، وما مناسبة تأليفه، وما هدفه منه؟

ولد أحمد حافظ عوض في القاهرة سنة ١٨٧٧/ وتوفي سنة ١٩٥٠/ إثر مرض ألزمه بيته عدة سنوات، وبعد أن عاش ثلاثة وسبعين عاماً.

وقد كان المؤلف مترجماً وصحفيّاً وسياسياً، وكانت له جريدة اسمها "كوكب الشرق"، كما كان عضواً في مجمع فؤاد الأول للغة العربية، وقد أصدر في حياته عدداً من المؤلفات هي:

- فتح مصر، أو نابليون بونابرت في مصر.
- من والد إلى ولده.
- اليتيم.
- حياة شاب.

وكتابه "من والد إلى ولده" عبارة عن تسع عشرة رسالة خاصة بعث بها إلى ولده في بيروت، حيث كان يدرس في الجامعة الأميركية. وهي رسائل ذات طابع ذاتي خاص لكنها تتضمن أفكاراً تربوية وتعليمية تعني الناشئة بشكل عام، كما تعني الآباء والمعلمين. ففيها أفكار نيرة ومعارف دقيقة وقيمة، وعواطف نبيلة، فضلاً عن أنها مصاغة بلغة عربية رفيعة، وأسلوب بياني أنيق، وهيكلي فني حي، مما يدخله في عداد الكتب الأدبية التربوية الممتازة.

وقد علق في حينه الكاتب محمد المويلحي على الكتاب حين قرأه بقوله: "وقد استبشرت خيراً عند اطلاعي على هذا الكتاب. فقد ألم بالشيء الكثير في باب التربية والتعليم، وتناول القول فيه أحسن تناول، ولو تعددت بيننا مثل هذه الرسائل لأيقنا بالوصول إلى طريق الكمال المنشود، ولسعد فينا والد ولم يشق مولود".

ويقول سعيد المقداد، محقق الكتاب: إن رسائل المؤلف إلى ولده قد توقفت عند الرسالة التاسعة عشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وانقطاع المواصلات بين مصر وسورية فلم يكتب الكاتب بعد هذه الرسائل شيئاً إلى ولده.

### فماذا أراد الوالد أن يقول لولده؟

في رسالته الأولى يهنيئ الوالد ذهن ولده عما يريد أن يقول له، حيث يؤكد على أنه لا توجد في الدنيا عاطفة أقوى من عاطفة

الأب نحو فلذة كبده، ولذا فإن النصيح عندما يصدر من قلب الأب فإنه يصدر من نفس متشبعة بنور الحب الأبوي الذي لا يشوبه أي نفع، وسيكون حبه الأبوي واسطة لتهديب مشاعر ابنه، كما أنه سيزيد تلطيف مزاجه وترقيق وجدانه.

ولا ينكر الكاتب الأب أن ابنه سيجد نفسه ذات يوم، عندما يبلغ مبلغ الرجال على خلاف مع أبيه في بعض الآراء التي طرحها عليه، ولكنه يدعو ابنه لأن يستفيد من تجارب من هم أكبر منه سناً ويستشهد بقول القائل: "لعل آثار أقدامنا في رمال الصحراء تهدي ضالاً إلى سبيل الأمن والهناء".

وقد انتقد الكاتب في رسالته الثانية الطريقة التعليمية القديمة التي عملت على حشو أدمغة الأولاد بما هب ودب من معلومات لا يرى أي نفع في كثير منها وتضر بصحتهم وتجعل استعدادهم أقل مما لو ترك الولد ينمو في الطبيعة حراً، يفهمها وتفهمه، وقد قال أحد علماء التربية الحديثين: يجب أن يقرأ الطفل في الطبيعة أكثر بكثير مما يقرأه في الكتب، وقال الكاتب إن ما يجب الحرص عليه في هذه السن هو شحذ الذهن وتوسيع دائرة الحياة وتنمية المنطق والاستدلال والقياس، كل ذلك من أجل مواجهة أمور الحياة وأحداثها والسعي لمعالجتها والتكيف مع كل ظرف يناسبه، وأضاف الكاتب مخاطباً ولده: "فأنا لا أهتم بما تحفظ وتقرأه وتجيده، من علم في صغرك بقدر ما أهتم بحسن نظرك للأمور ومعالجتها، وصدق فراستك وشغفك بالمعرفة وولعك باكتشاف ما لم تعرفه بعد، وعند ذلك تكون أقدر على مقاومة مصائب الزمان، ومواجهة الحياة في سرائها وضرائها".

ويؤكد الكاتب لولده على أهمية تقوية ملكة البحث والاستقراء والملاحظة لأنها

أساس كل تربية وتعليم وتهذيب واستعداد  
لجهد في الحياة، وركز على أهمية العلوم  
والمعارف المتعلقة بالزمن الذي يعيش فيه.  
فلكل زمان طرق جديدة لإيصال المعارف  
الهامة إلى عقول الناشئين.

وإن مهمة المدرسة الأولى والأساسية  
هي إعدادهم للحياة لا للعزلة عن الحياة، وإن  
أية معارف أو ثقافة لا توصل إلى هذا الهدف  
العظيم لا قيمة لها. ويضيف الكاتب: "لو أن كل  
أب أو أم، وكل أستاذ ومعلم وجه نظر ابنه أو  
تلميذه إلى شحذ القريحة ولفت الذهن إلى  
التفكير والتأمل والقياس والاستنتاج والملاحظة  
والمقارنة في كل ما يعرض له على النظر، و  
يقع تحت مجهر الحس لنمت فيه تلك الملكة  
السامية التي لا تتم أية تربية صحيحة بدونها".

ودعا الكاتب ابنه إلى أن لا يمر على  
كل ما يقع تحت نظره مرور الأعمى، وهو ذو  
عينين مبصرتين، وأن لا يخجل، إذا أشكل  
عليه أمر، أن يسأل من هو أعرف منه.

ويتطرق الكاتب في رسالته الرابعة

إلى مسألتين هامتين:

**الأولى:** هي العلاقة ما بين التلميذ وأستاذه،  
فدعا ولده إلى أن يعتبر أستاذه بمثابة أب له،  
وأن يتعامل معه كما يتعامل الابن مع أبيه،  
المتعامل القائم على الحب والاحترام والتقدير،  
لأن العلاقة الصحيحة السليمة بين الأستاذ  
الشيخ وتلميذه الفتى، حسب تعبير طه حسين،  
تجعل التعليم مريحاً للأستاذ، ومفيداً للتلميذ.

**الثانية:** وهي أن لا يقبل علي تعلم شيء إلا إذا  
أحبه ومال إليه، لأن كثيراً مما يتعلمه التلميذ  
ينساه بعد الامتحان. ويخاطب ولده قائلاً: "إنك  
لا تستطيع أن تتابع تعليمك باللذة والسرور ما  
لم تكن محباً للعلوم، ومقبلاً عليها، غير مسوق  
للمدرسة بالترهيب، لأن محبة العلم تخفف  
ثلاثة أرباع المشقة في تلقيه وممارسته".

ولم ينسى الوالد أن يوجه ولده نحو  
العناية بصحته، لأن العقل السليم، كما يقول  
المثل، هو في الجسم السليم، ولذا يحثه على  
ممارسة التمارين الرياضية، وعبر الكاتب عن  
سروره لأن الرياضة أصبحت جزءاً من وظيفة  
المدارس الحديثة، ولكنه حذر ولده من الإفراط  
في ممارستها لدرجة الإنهاك.

### تعلم اللغات الأجنبية

وقد أولى الكاتب الاهتمام الكبير  
باللغات الأجنبية، وقد خصص لها ثلاث رسائل  
وقد علل ذلك بقوله: "بما أن مصر قضت عليها  
الظروف بأن تكون قطعة من أفريقيا، وقطعة  
من أوروبا، صار من اللازم على كل ناشئ  
مصري يريد خدمة بلاده ورفي أمته أن يتربى  
تربية خصوصية تجمع بين المعارف الشرقية  
والآداب العربية والعلوم الغربية، ومن أجل  
ذلك لا بد من تعلم لغة أجنبية، إما الإنكليزية  
أو الفرنسية أو كليهما معاً، تعلماً تاماً،  
لأن إجادة إحدى اللغات الأجنبية - حسب  
تعبيره - تعد بمثابة وضع حجر الأساس  
في بناء صرح مجد المستقبل، ولذلك حث ولده  
على إجادة لغة أجنبية، إنكليزية أو فرنسية،  
إجادة تامة، حديثاً وكتابة، وقد حذر ولده،  
من أن اللغات لا تؤخذ اغتصاباً، ولا تتقن لهواً  
وتسلياً، بل تحتاج إلى الجد والتعب والعناء،  
وأن ينصرف إليها بعقله وقلبه، منذ صغره،  
لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر،  
كما يقول المثل الشعبي، مما سيفيده في  
قابل أيامه، ورسم له خطة محكمة لدراسة  
اللغة الأجنبية وسبل حفظها واستيعابها، وقال  
له: "إن الغاية البعيدة من تعلم اللغة الأجنبية  
هو الحصول على ثقافة واسعة لا يجدها  
في اللغة العربية".

وقد أولى الكاتب أهمية خاصة للترجمة إلى العربية ومنها. ودعا ابنه إلى التفوق على أقرانه في هذا المضمار. وأضاف: بما أن البلاد تمر في مرحلة انتقالية - في عهد المؤلف - توجب الاعتماد على معارف الأوروبيين الأدبية والعلمية والصناعية والتجارية، كما تحتم علينا حسن التفاهم معهم وإيقاف قومنا على أحوالهم ومستحدثاتهم ومنشأتهم، كما فعل الطهطاوي قبلاً.

وينبذه إلى أن الترجمة ليست عملاً سهلاً، فهي تحتاج إلى عمل شاق ومران طويل ودقة في العمل وسلامة في الذوق، وقبل كل شيء أن يكون المترجم على دراية تامة باللغتين وأساليبهما في التعبير وصياغة الجملة واستخدام المصطلحات استخداماً دقيقاً. ثم قدم لولده بعض الإرشادات التي اعتقد أنها مفيدة لولده من خلال الخبرة التي حصل عليها في حياته.

### اللغة العربية

من الطبيعي أن يوجه الكاتب ولده إلى تعلم اللغة العربية، وإجادتها قراءة وكتابة، لأنها لغة قومه، لكنه في الوقت نفسه لا يريد أن ينصرف كلياً إليها، وكل ما يريده لابنه هو أن يكتب بلغة عربية سليمة، وأسلوب رصين وذو طلاوة في العبارة، وصحة في التركيب وحسن الإنشاء، حتى يتفرغ للمواد الهامة الأخرى التي يود له أن يبدع فيها.

ومع ذلك وضع لابنه برنامجاً واسعاً جداً فوق طاقته، ولا يحتاج إليه إلا كل مختص باللغة العربية وآدابها. فطلب منه أن يقرأ أمهات الكتب القديمة وينتقي ما يشاء منها وما يعجبه بدءاً من كتب النحو والصرف والبلاغة وانتهاءً بالمراجع الأدبية القديمة الكبرى مثل:

"أدب الكاتب" لابن قتيبة، و "الكامل" للمبرد، و "البيان والتبيين" للجاحظ، و "الأمالي" لأبي علي القالي، وأضاف إليها القصص والروايات والسير التاريخية المشوبة بالخيال والخرافات، ككتاب "ألف ليلة وليلة" و "سيرة عنترة بن شداد" و "كليلة ودمنة" والأدبين الكبير والصغير "ابن المقفع، و "مجاني الأدب" والعقد الفريد" .. إلى آخر هذه القائمة الطويلة العريضة التي لو نفذها ابنه لاحتاج إلى صرف سنين طويلة عليها، ولتخلف عن دراسة العلوم التي وجه ابنه للتخصص بها. ثم ركز الكاتب في رسائل أخرى على دراسة العلوم الطبيعية والتاريخ الذي يعتبره من ألد الفنون.

### خبرة أب وتجاربه

وفي رسالته السادسة عشرة قال إنه يود أن يقدم لولده زبدة خبرته في الحياة لئلا يقع في مثل ما وقع فيه هو من أغلاط، وما واجهه من عثرات، ولكي لا يدفع في حياته المقبلة ما دفعه هو من ثمن غال وما تجرعه من مرارة الحياة وما ذاقه من آلامها، ولكن الكاتب لا يريد في نصحه لولده أن يكون متشدداً، وقال: إن الزمن الذي كان يصح فيه النصيح بالترهيب والوعيد قد مضى، لأن الزمان يتغير والأساليب التربوية يجب أن تتغير معها.

ويلخص الكاتب في رسالته الأخيرة لولده الهدف البعيد الذي رمى إليه من رسائله وهو تحقيق النجاح في الحياة. وقد وضع أمام ولده سؤالاً: ماذا نريد بالنجاح في الحياة؟ وهنا استشهد بأقوال كثير من الكتاب والفلاسفة والحكماء، وأورد تعريفاً جاء فيه: يراد بالنجاح في الحياة "هو وصول إنسان إلى غاية يرضاها الناس، ويراهم الواصل إليها غاية عالية"

وقد ناقش هذه المسألة من جوانبها المختلفة من خلال أقوال الآخرين.

فأحد الكتاب الألمان حصر معنى النجاح في الحياة بقوله: "أن يكون الإنسان محترماً، ذا قدر عظيم في نظر الكثير من الناس" ولكن غيره يناقض كلامه ويتساءل: "ماذا يهم الإنسان أن يكون محترماً في نظر الناس، وهو منغص الفكر حزين القلب؟" ويتساءل آخر: هل النجاح في الحياة أن يكون محترماً عند الناس وهم لا يحترمون إلا الأغنياء، ولو كانوا جهلاء، ويحترمون أيضاً كثيرين ممن قام مجدهم الظاهر على ظروف وأحوال، ووصلوا إلى مراكزهم بأحط الوسائل وأدنى الوسائل؟ ويخلص الكاتب إلى القول: "إن اختلاف الناس في الغاية التي يرمون إليها هو الذي يزيد الموضوع إشكالاً. فهذا يرى النجاح في الحصول على مركز حكومي وآخر يراه في اكتساب المال وثالث يراه في رفعة الجاه، ورابع في إصلاح حال البشر أو نشر فضيلة وقطع دابر رذيلة، والله في خلقه شؤون".

### أسباب النجاح

ثم يتساءل الكاتب: لأي شيء ينسب النجاح في الحياة؟ هل ينسب إلى الحظ أو إلى الجهد والعمل المتواصل؟

فبعض الناس يعزو النجاح إلى الحظ والصدفة. وقد قال الشاعر الإنكليزي بوب تحن العوبة بيد الأقدار، ترمينا يمينا وشمالاً، ونحن لا نعرف إلى أين نسير ولا نعرف شيئاً مما ينتظرنا بعد لحظة واحدة وهذا منتهى القنوط والسوداوية ويجعل الإنسان كريشة في هب الريح لا حول له ولا قوة.

أما الفريق الآخر فيرى أن النجاح لا يتحقق إلا بالجد والعمل والاجتهاد وانتهاز الفرص المناسبة، والاعتماد على الثقة بالنفس. وقد قال المير جون لوبك في كتابه "مسررات الحياة": كل من يسعى للفوز في الحياة يناله. ولعربي، إذا حاول الإنسان وفشل لا يخسر شيئاً مطلقاً، اللهم إلا إذا تولاه اليأس ودخل في قلبه القنوط. وإننا إذا لم نحصل على مرادنا مرة فليس ذلك بداعٍ على انقطاع الآمال.

ويصل الكاتب إلى نتيجة هامة وهي أنه لا نجاح بدون جهد وتعب ومشقة،

ولكنه ليس كفيلاً به، وعدم كفالاته يرجع إلى اتساع دائرة المطامح، وعدم تعيين الغاية المرجوة، والعقبات التي تعترض سبيل النجاح وتحبط عمل الإنسان الطموح، والتردد في اتخاذ القرار، والثبات والصبر وقد قال علي ابن أبي طالب: "لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان".

وأحياناً، إذا لم يغتنم الطموح الفرصة التي تواتيه فسيخسرها ولن تعود مرة أخرى.

وقد قال الشاعر الفرنسي فيكتور هيغو: "توجد بعض دقائق ولحظات إذا نام فيها الإنسان مات". وقال العربي: "إن الفرصة إذا لم تنتهزها تصير غصة".

وينتهي الكاتب نصائحه لولده بقوله: "هذه هي شؤون الحياة وضرورتها. فاختر لنفسك ما يحلو لك، إن كنت طموحاً طامعاً متطلعاً للثروة والفوز والجاه، ولكنني أنصحك بالرجوع في كل شيء إلى عقلك، وقدر ما تريده لمستقبلك وراحة فكيرك".



# أبو الجود

شعر : جابر خيربك

في أربعين المرحوم أخي جميل بتاريخ ٢٥/١/٢٠٠٢

أناديك هل تُصغي، وهل أنت تسمع  
لبي الله كم فاضت على الهجر أدمع  
أناديك يا من كنت في الفكر حاضراً  
وفي العين سُكناه وفي القلب يرتع  
أناديك حتى ضاع في جانحي الصدى  
وضجت بأهوات الملوّع أضلع  
بعنادك أدمى العقليتين فذرفت  
دموعاً على الخدين كالنار تلسع  
فأنت بأحزائي مقيمٌ وساكنٌ  
ولبو أفقر المغني وشطّ السجمع  
\* \* \*

"أبا الجود" هل تمضي وتُخلف موعداً  
وما كنت عن وغد الأحبة ترجع  
"أبا الجود" هل في الحي بعدك بسمة  
تفرّج همّ المسستهام وتدفّع  
رحلت ومن صدري حملت على النوى  
فؤادي فأيّ الراحلين أودّع  
وحبك دار العزّ باتت حزينّة  
تلمّ الأسى حيناً وحيناً توزع  
فقد ودّعت في محنة الدهر كوكبا  
إذا ما دجا ليّل النوائب يسطع  
فتذكر ماضيه وتندب حظّها  
وتسأل عنه والمدامع همّ مع

تطوف بها الأحلام تنهش جفنها  
وأنا تهها إن شبقها الوجع تسامع  
مرابغها غاضبت وغاضبت مروجها  
كأن المغفاني والخمائل بلقع  
وعند الأماشي والسكون يلفها  
تناديك في صمت مريـر وتهرع  
إليك. ولكن كيف تلقاك والبردى  
طسواك. وسيف الهجير بالصدر يقطع  
\* \* \*

"أبا الجود" هذي مهجتي وجراخها  
تنز ولا طيب يفسد وينفع  
فقد بعد الآسي عن العين وانطوت  
شمائله والقيلب بالياس مترع  
تمنيت أن تبقى كظل عريشة  
نعود إليها في الهجير ونسرع  
ونرتاح في أفيائك الفيح كلما..  
المات بنا الشكوى فصدرك أوسع  
ترش علينا الحب والبشر والندى  
ونغفو على الحزن الرحيم ونهجع  
فليت الليالي القاهرات تمهلنا  
وخلت أمانينا بعطفك تمرع  
ولكن أمر الله في العبد نافذ  
فليس له رد. ولأمر نخضع  
وليسست عشيات "الحمى" (١) برواجع  
إلينا ولا ذاك النعيم سـيرجع  
ستبقى لنا الذكرى تلح مريـرة  
وهيهات أن ينسبى الأحسب مدمع  
\* \* \*

زمانك كان الظل والنور والشذا  
وأنت لنا إن أظلم الليل مرجع  
تمدد لنا الكف الرحيم حانيا  
تحاسب من أذى الكرام وتردع

أبياً وفيّاً في الملمات سيّداً  
 وبيستك مأوى المتعابين ومطمع  
 تجود ولا يسرّ لديك مخزّن  
 ولكنّ نفس الحرّ بالعسر تُبدع  
 تعودت أن تحيّا كـريماً ومؤمناً  
 بأن بقاء الذكر لـلمرء أنفع  
 فعشت على الإيثار والبرّ والتقى  
 وبالخير والإحسان طبعك مولع  
 تشارك بالنعى العفّة تراحماً  
 وتحث أرض المعوزين وتزرع  
 فكـم أزهرت في كل بيت خميلة  
 تبدد غمّاء النفوس وترفع  
 وجاء قضاء الله فيك فأسرعت  
 قلوباً تردّ الموت والموت أسرع  
 فلبيت صوت الحقّ أصفى من الندى  
 وثغرك مفيترٌ . ووجهك أبـدع  
 \* \* \*

سقى الله أياماً تقضت كأنها  
 سراباً ورؤيا خلف جفنيّ تقبّع  
 تعود ونفـس المسـتهام مشـوقة  
 إلى خـلفها . والموت شيءٌ مروّع  
 تمزقها الذكرى ويخـنقها الأسى  
 فلا الموت يطويها ولا الخـل يرجع  
 \* \* \*

"أبا الجود" هل تصغي وتسمع باكياً  
 كواه النوى واحتار كيف يشيع  
 إذا كان سرّ الموت قد حال بيننا  
 صـحونا وأجـراس التـباعد تُقرع  
 وشقّ شـغاف القلب موتك مثـلما  
 يشقّ ويدمي جانب الصدر مبضّع  
 فـلله ما يلقى المحبّ إذا نـأت  
 عن العين حبات القلوب وتـنزع

ولله كم سالت على البعد مقلة  
ولله كم قلوب يضج ويهلع  
\* \* \*

"أبا الجود" إن الصبر خير وبلسم  
ولكن جرح القلب دام وموجع  
فهل تنشف الأحناء من نيزف حزنها  
وفي كل يوم عند ذكراك تتبع  
سقى عصرك الرحمن كم كنت فارساً  
إذا ما دعى الداعي تضمر وتنفع  
سموت بأخلاق الكرام ولم تكن  
ملولاً. ووجهه الحر كالدر يلمع  
إذا بشأروا بالمكرمات وفاضلوا  
بأهل الندى دلت على البيت إصبع  
وقالوا هـناك الجود حط رحاله  
ومين بابيه عطر الرضى. يتضوع  
وبعدك يأتي كل من يدعى الندى  
كأنك شمس والكواكب تبع  
فكيف يضم القبر من كان جوده  
تضييق به الدنيا ولا يتصدع  
\* \* \*

دروب الأماسي سوف تدعوك كلما  
ألمت بها الذكرى وببكاء مريع  
وتحت الدوالي الباكيات ستلتقي  
وفود على عهد الهوى تتوجع  
وداعاً وداعاً يا أبا الجود والرضى  
فلا الذكر يكفيكنا ولا الطيف يشفع  
وداعاً وداعاً فالأماني سافرت  
وأخملت مغانيبنا وذاب المودع  
ستبقى على الأجفان حلماً مجنحاً  
وفي العين في أحداقها تتربع  
تلوح لنا من عالم الغيب ضاحكاً  
وتشرق كالبدر المنير وتطلع

مَكَانَكَ فِي كُلِّ الْقُلُوبِ مَخْلُودًا  
وَطِيفَكَ بَيْنَ الْهَذَبِ وَالْهَذَبِ مَوْدِعَ  
فَطُوبَى لِمَنْ أَخْلَى عَنِ الْأَرْضِ مَوْضِعًا  
لِيَلْقَاهُ فِي الْعَرْشِ الْإِلَهِيِّ مَوْضِعَ  
\* \* \*

"أَبَا الْجُودِ" أَحْبَابُ الْقُلُوبِ تَوَافَدُوا  
وَهَذِي جَمْعُ الْأَهْلِ جَاعَتِ تَشْيَعُ  
فَقَمِ مِثْلًا عَوْدَتِ ضَيْفًا وَزَائِرًا  
تَرْحَبُ مَسْرُورًا وَبَابُكَ مَشْرَعُ  
مَحْبُوكِ مَا زَالُوا عَلَى الْعَهْدِ وَالْهَوَى  
أُمِّيْنِينَ. فَانْظُرْ كَيْفَ تَمْتَدُّ أُنْدَرُ  
إِلَى اللَّهِ تَدْعُو بِالنَّعِيمِ لِمُؤْمِنِينَ  
وَتَطْلُبُ غَفْرَانَ الرَّحِيمِ وَتَضْرَعُ  
بِكُورِ عَصْرِكَ الْمَيِّمُونَ أَهْلًا وَحَسْرَةً  
طَوِيلًا. وَهِيَ هِيَ حَوْلَ قَبْرِكَ خَشَعُ  
\* \* \*

"أَبَا الْجُودِ" يَا مَنْ غَبَتِ كَالطِّيفِ مَسْرَعًا  
عَنِ الْعَيْنِ وَاحْتَارَ الْفَوَادُ الْمُقَطَّعُ  
غُرَائِرُ مَنْ نَعَمِي لِيَا أَلِيكَ غَادَرْتُ  
وَأَكْبَادُنَا الْعَطَشِ إِلَى الْحَبِّ تَتَّبِعُ  
سَنَبْكَ مَا حَنَنْتَ يَمَامَ لَعَشِيهَا  
وَتَزْكِي أَسَانَا كُلَّ وَرْقَاءٍ تَسْجَعُ  
سَنَبْكَ إِذَا طَافَ الْخِيَالُ وَحُومَتِ  
حَشَوْدُ مَنْ الذِّكْرَى تُسَرُّ وَتُفْزَعُ  
وَتَدْعُو لِعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَ شَوْقَنَا  
إِلَيْكَ وَفِي رِضْوَانِهِ نَتَجَمَعُ

(١) الحمى: مسقط رأس الراحل

٢٠٠٢/١/٢٥

قراءة في كتاب:

وجوه ومرايا

للباحث

ميخائيل

عبد

بقلم:

أحمد سعيد هواش

ميخائيل عبد شاعر ومترجم وأديب  
أغنى المكتبة العربية بأكثر من سبعين كتاباً  
من شعر وزجل وترجمة ونقد أدبي.. حيث نقل  
روائع الأدب البلغاري إلى الأدب العربي  
بأسلوب جميل ولغة أخاذة، ليتذوقه عشاق  
الأدب المتعطشين إلى آداب الأمم الأخرى..

أما في كتابه: وجوه ومرايا، فقد أتى  
على ذكر كوكبة من الأعلام الأدبية حيث ألقى  
مزيداً من الضوء على سيرتهم الذاتية  
وإبداعاتهم الفكرية الثرة في الفلسفة، والنثر  
والشعر والنقد، وأدب الأطفال أمثال: أحمد  
فارس الشدياق وفيلسوف الفريكة أمين  
الريحاني.. وشاعر القطرين خليل مطران،  
والناقد مارون عبون، والباحث لويس عوض،  
والأديب نسيب الاختيار، والأديب عبد الله عبد  
الذي ترك بصماته في الأدب القصصي  
للأطفال.. وقد أطلق على هذا الحيز من  
الكتاب: وجوه .

أما الحيز الثاني من الكتاب فهو:  
مرايا: حيث ألقى الأديب ميخائيل عبد "شيئاً من  
الضوء على أعمال زملاء وأصدقاء وغرباء  
وكانت لي "وجهة نظر" في ما قرأت من  
أعمالهم" كما يقول في مدخل الكتاب..

وفي الواقع أن ما أورده الباحث  
ميخائيل عبد في كتابه: وجوه ومرايا مفيد لنا  
كقراء وطلاب وباحثين حيث أن مناهجنا  
التعليمية في مراحل الدراسة المختلفة لا تزيد  
عن إعطاء فكرة مبسطة عن هؤلاء الأعلام  
الذين يستحقون أن يأخذوا حقهم من معرفة  
سيرتهم الذاتية وعطاءاتهم الفكرية الغنية..



ويأتي في طليعتهم، الرحالة الاديب  
أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٧م)  
يقول الأديب ميخائيل عيد مظهراً  
مكانة الرائد أحمد فارس الشدياق:

"فماذا يمكن أن نقول في فارس  
الشدياق، الذي صار إلى الشيخ أحمد فارس  
الشدياق؟ وأي الجوانب تناول من جوانب  
سيرة حياة هذا الرائد العظيم من رواد نهضتنا  
الحديثة؟

أنتكلم على الفتى الذي هرب من جور  
الإقطاع والأكليروس فصار قصره ملاذاً  
للأذنين به من بني قومه العرب؟ أم على ذلك  
البائع المتجول بين القرى وراء حمار قميء ثم  
صار ينزل معزراً مكرماً في قصور الإستانة  
ويستقبل كبار الشخصيات من رجال السياسة  
والثقافة؟ أم أتكلم على انتمائه العربي الراسخ  
الذي لم يحرفه عنه قيد شعرة حملة الجنسية  
البريطانية التي احتفى بها بين طغيان الطغاة  
وجور الجائرين، ولا المراتب التي نالها في  
الاستانة؟

وعن عروبة الرائد الرحالة أحمد  
فارس الشدياق يقول الأديب ميخائيل عيد:  
"لقد حمل الشخصية البريطانية، ولكنه  
رفض أن يستبدل الزي العربي حتى وهو في  
لندن، وباريس، وظل عربي الفكر والقلب  
واللسان في الاستانة..

لقد تنقل من مكان إلى مكان ولكن  
هواه لم ينتقل.. لقد حفظه نقياً لوجه العروبة  
وكان أحد أكبر المسهمين في خدمة لغة العرب  
عبر تاريخ العرب..

وعن إسهام الشدياق في لغة العرب  
ينقل مؤلف الكتاب الباحث ميخائيل عيد أقوال  
الأديب الناقد "مارون عبود" في أدب فارس  
الشدياق حيث يقول:

"ليس في القرن التاسع عشر أدب  
حي، كما نفهم الأدب اليوم، إلا ما كتبه  
الشدياق في "فاريقه" و "واسطته" و "كشف  
مخباه وفصوله التي أذاعها في جوانبه"

وأما حبه للغة العربية فيقول الباحث  
ميخائيل عيد:

"إن حبه للغة العربية جعله يقحمها في  
كل ما كتب، ويستطرد إليها استطرادات  
جاحظية تخرجه عن الموضوع حتى وهو يكتب  
سيرة حياته الرائعة الساق حتى الساق فيما هو  
الفارباقي.. وحتى وهو يكتب المقالات السياسية  
 والاجتماعية والتعليقات في "الجوانب".

ثم يستطرد صاحب الكتاب مورداً  
مواهب البحاثة الرائد الشدياق فيقول:

"ولم يكن الشدياق لغوياً بارعاً متبحراً  
وأديباً مبدعاً وحسب بل كان أيضاً شاعراً  
ومترجماً وناقداً وكاتباً اجتماعياً ورحالة  
وصحفيّاً يكتب في السياسة وغيرها.. وكان  
كبيراً في أكثر ما كتب".

ثم يعدد المؤلف ميخائيل عيد مؤلفات  
البحاثة الرحالة أحمد فارس الشدياق حيث  
بلغت خمسة عشر كتاباً.

ثم يلقي الأديب ميخائيل عيد نظرة  
شاملة على سيرة فيلسوف الفريكة (أمين  
الريحاني) مستشهداً بقول المستشرق الروسي  
(كراتشكوفسكي) بالريحاني حيث يقول:

"الريحاني هو أكبر كاتب عربي في هذا الزمان" ثم يقول صاحب الكتاب: "كانت أمه تخوفه صغيراً بالقول "جاء البدوي" ثم صار بين أكبر دعاة الوحدة العربية وأكثرهم إيماناً بها وحماسة لها.. ولقد أحب إباء البدو ووصف حياتهم وصفاً دقيقاً جميلاً". ثم يظهر الأديب عيد حب فيلسوف الفريكة للأمة العربية ولغتها فيقول:

"أتقن الإنكليزية وقرأ بها أمجاد أمته وبعض رجالاتها فأحس بالغربة وقسوتها فعاد إلى لبنان ودرس العربية حتى أتقنها. ووجد نفسه إذ وجد لغته".

ثم أطلق مكافحاً في سبيل نهضة العرب وتحررهم ووحدتهم، ولم تفقداهم الحماسة الاتزان، فقد عالج أكثر المشكلات الاجتماعية والسياسية في زمنه معالجة المفكر الرصين وكسا أفكاره ثوب الأدب الجميل.

ثم يورد صاحب الكتاب نبذة عن حياة الريحاني مستشهداً بقول الريحاني:

"وادي الفريكة مهيب أكثر منه جميل، عميق ملتوٍ ينحدر من قرية صغيرة ليغسل رجليه في نهر الكلب. هو صغير ولكنه كثير الزوايا والأسرار، يجمع بين الدلب الذي لا يعيش إلاً بالقرب من الماء والصنوبر الذي يكتفي بمشاهدة البحر من أعالي الجبال. وفي الشتاء تنثر الطبيعة تحت قدميه أزهار الدفلي وتكفل رأسه في الربيع والصيف بأزهار الوزال. ومع هذا الجلال والدلال تراه حاملاً على منكبيه كثيراً من الأطواد التي تخضع صاغرة تحت قدمي حنين".

لذلك سمي الريحاني "فيلسوف الفريكة" .. ولقد رقد هناك إلى الأبد..

وعن زيارات الريحاني للأقطار العربية وما ألف بها من كتب يقول صاحب الكتاب الأديب ميخائيل عيد:

زار الحجاز واليمن وعسير ولحج والمحميات والعراق والبحرين، ثم عاد إلى الحجاز فالكويت ومن ثم زار العراق ثانية. وتواترت رحلاته بين الشرق والغرب، وكانت ثمراتها العديد من الكتب ومنها "ملوك العرب" و "النكبات" و "الجزءان الثالث والرابع من الريحانيات".

وكان كتابه الصغير "أنتم الشعراء" صرخة احتجاج على الأدب الباكي الذليل.. وكانت له أصداء كثيرة، وكانت الردود عليه، وعن خدمة الريحاني للقضية الفلسطينية ودفاعه عن قضيتها العادلة يقول المؤلف: "وحين احتدم الجدل بشأن القضية الفلسطينية عام ١٩٣٧ م كان الريحاني بين الذين جندوا كل قواهم، ومواهبهم لخدمة هذه القضية العادلة. لقد عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وألقى الكثير من المحاضرات مستخدماً قوة الحق والمنطق إضافة إلى قوة البيان. وأقنعت حججه الدافعة الكثيرين من "ساسة الغرب أنفسهم".

ويستشهد الباحث ميخائيل عيد في كلامه عن شاعر القطرين خليل مطران (١٨٧٢ - ١٩٤٩) برأي الشاعر اللبناني الياس أبو شبكة حيث يقول عن خليل مطران:

"الأستاذ خليل مطران سيد شعراء العرب في مختلف أقطارهم، وباني أول صرح جديد في الشعر العربي، وأعرف الأدباء جميعاً بمدخل اللغة ومخارجها..".

ويقول صاحب الكتاب الأديب ميخائيل عيد مظهراً مكانة شاعر القطرين (خليل مطران): "كان خليل مطران إنساناً كبيراً في زمن كثر فيه الظلم والجهل والتخلف فصار ثائراً وفي الشعر مجدداً. كان الغدير العذب الذي روى حقائق الشعر العربي المعاصر" ثم يستشهد بقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين: حيث يخاطبه قائلاً: "أنت علمت المقلدين كيف يرتقون بتقليدهم عن إفناء النفس فيمن يقلدون وأنت علمت المجددين كيف ينزهون أنفسهم عن الغلو الذي يجعل تجددهم عبثاً وابتكارهم هباء. وأنت علمت أولئك وهؤلاء أن الفن حر لا يعرف الرق، كريم لا يحب الذل، نشيط لا يحب الجمود، أبي لا ينقاد للمحافظة إلى غير حد، ولا ينقاد للتجديد في غير احتياط".

وفي مدخل بطبك يقف تمثال خليل مطران شامخاً، حيث كان مولده في بطبك في شهر تموز عام ١٨٧٢م ودرس الكلية الشرقية في زحلة، وفي واديه حيث أولى نسمات الحب على قلبه:

هل تذكرين ونحن طفلان

عهداً بزحلة ذكره غنم

إذ يلتقي في الكرم ظلان

يتصاحكان ويأنس الكرم

ثم يذكر الأديب ميخائيل عيد مراحل حياة هذا الشاعر وأسفاره إلى باريس، ومصر ودوره في الحركة الأدبية في مصر.. وقد لقي خليل مطران الكثير من التكريم في حياته التي انطفأت شعلتها في أول تموز عام ١٩٤٩ م.

وعن شعر خليل مطران يقول الباحث ميخائيل عيد: "في شعر خليل مطران قوة عجيبة وفيه سلاسة وعذوبة مدهشتان. أجل، من القوة والجزلة ومتانة الأسلوب ومن الرقة المتناهية والعذوبة الفائقة يرسم خليل مطران لوحات شعرية قل نظيرها في شعرنا العربي ويقيم أسساً راسخة لشعر ملحمي متين ويكتب قصصاً فيها القصة الجيدة وفيها الشعر الرائع" لنسمع قليلاً من شعره الرائع ها هو يخاطب المستعمرين الظالمين:

شردوا أختارها بحراً وبراً

واقتلوا أحرارها حراً فحراً

إنما الصالح يبقى صالحاً

آخر الدهر ويبقى الشر شراً

أجل يبقى الصالح صالحاً ويبقى الشر شراً..

وعن الأديب نسيب الاختيار (١٩١٠-١٩٧٢) يحدثنا صاحب الكتاب عن سيرة هذا الصحفي والقصصي الذي لا نعرف عنه إلا القليل فيقول نقلاً عن معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين "لعب القادر عياش الصادر عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٧٤م:"

"نسيب الاختيار بن مراد، ولد في دمشق عام ١٩١٠ م تخرج من معهد اللايك

بدمشق. بدأ حياته أستاذاً للأدب العربي في إنطاكية، فصلته السلطات الفرنسية بسبب نشاطه الوطني، مارس الصحافة وقرض الشعر وعمل محرراً ومترجماً في عدة صحف. من رواد القصة القصيرة في سورية بين الحربين. صدرت قصته الأولى في عام ١٩٣٠ م بعنوان "عودة المسيح". وظف في الإذاعة السورية، يشرف على قسم النثر فيها، تسلم رئاسة دائرة الأخبار، وعمل مديراً للبرامج الإذاعية، وكانت له زاوية سياسية.

ويستغرب مؤلف الكتاب مندهشاً أن تكون حياة هذا الأديب "تسيب الاختيار" مجهولة إلى هذا الحد وهو حديث العهد بالرحيل عند دنيانا فيقول: "اكل هذا ينسى في أقل من عشرين سنة؟ وما الذي سيبقى إذا من نتاج المبدعين من أبناء جيلنا بعد عشرين قرناً؟ ثم يجد المؤلف في مكتبته عن كتاب فيجد روايته الوحيدة "سقوك الفرنك" الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٧٤ م ..

ويختتم الأديب ميخائيل عيد الحيز الأول من كتابه (وجوه ومرايا) في حديثه عن الكاتب فيقول.. تعود بي الذاكرة إلى أواسط الخمسينات من هذا القرن.. كنت في أول الدرب إلى عالم القراءة الجادة.. وكانت أولى محاولاتي الكتابة.. ونشرت قصة عبد الله عبد "مات البنفسج" في إحدى المجلات الثقافية. كان نشرها حدثاً أدبياً احتفى به الأدباء الوطنيون والتقدميون خير احتفاء، وهللوا لميلاد هذا النجم الساطع في سماء الأدب".

"لقد عاش فقيراً ومات فقيراً وأورث أسرته الفقر الذي لا تزال تعاني منه حتى اليوم، ولكنه أعطى الأدب ثروة كبيرة وصار أديبه موقداً للدفاع الروحي في هذا العالم البارد..

ثم يحدثنا صاحب الكتاب الأديب ميخائيل عيد عن كتابي القاص الأديب عبد الله عبد وهما خاصان بالأطفال : الأول وعنوانه "الطيران الأول" والكتاب الثاني من سلسلة كتاب "مساحة الشهري" التي تصدرها وزارة الثقافة في دمشق وعنوانه: "الأطفال ينتظرون الفرح" وقد صدر عام ١٩٨١ م ، أما الكتاب الأول فقد صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٧٧ م ، وقد تكلم صاحب الكتاب عن الكتابين بأسلوبه الجميل .

أما الحيز الثاني من كتاب الباحث ميخائيل عيد (مرايا) ، فهو يسعى إلى إلقاء شيء من الضوء على أعمال زملاء وأصدقاء وغرباء كانت لي "وجهة نظر" في ما قرأت من أعمالهم كما يقول..

وقد ألقى الباحث عيد نظرة ثاقبة على عشرين موضوعاً من قراءات لكتب، وموضوعات فكرية.. مبتدئاً ذلك بـ "سليمان البستاني والياذة هوميروس- إشارة إلى المقدمة) .. فيقول: حين تذكر إلياذة هوميروس يرد إلى الذهن أسم سليمان البستاني، وحين يذكر اسمه يرد اسم إلياذة فمن هو سليمان البستاني وما هو سر هذا الارتباط ما بين اسمه وإلياذة؟

جاء في المنجد سليمان البستاني (١٨٥٦ - ١٩٢٥م) رجل دولة، عالم، أديب وشاعر، ولد في بكشتين (لبنان) كان وزيراً في الاستانة، نال شهرة واسعة بتعريبه إلياذة هوميروس وبالمقدمة التي وضعها عليها فكانت نموذجاً للدراسة الأدبية ومقارنة الآداب. ويقول مارون عبود في كتابه "رواد النهضة الحديثة" "أما سليمان البستاني ففاق من تقدموه من الرواد، فعرف خمسة عشر لساناً حتى لغة "النور" إن صدق من ترجموا له.. ويقول أيضاً: مضى سليمان عشرات السنوات في دراسة الإلياذة، وتعلم جميع اللغات التي توطنها له، وظل دائماً يرحل ويقوم حتى رأى بعينه أخيراً مواطن حدوثها فأفاد منها ما كان قد فاتته.

وأخيراً انبرى لها، ونظمها، وشرح لنا غوامضها، وكأنه رآها لا تكون تامة بلا مقدمة فقدم لها بمئتي صفحة فجاءت تلك المقدمة كتاباً أشبه بمقدمة ابن خلدون لتعدد أغراضها ودقة بحثها.

وبعد أن يستعرض فصول الإلياذة النفيسة بالكنوز الأدبية يتكلم الباحث ميخائيل عيد فيقول: ونصل إلى الخاتمة ولقد قيل ختامها مسك، ونحن هنا عند مسك المسك.. فمقدمة الإلياذة كنز حقيقي من العلم والفن والأدب والطيب الفاخر فما بالك بختامها الذي هو مسكها.. إنها نشيد ختام رائع لملمحة نثرية علمية أدبية رائعة كتبها سليمان البستاني وأطلق عليها اسم (مقدمة) فهنا كلام، وأي كلام على الشعر والموهبة وسمات اللغة

العربية وغنى الشعر وسماته، وهنا مقارنة بين العربية واليونانية وسمات كل منها. وفي موضوع آخر تطرق الباحث عيد إلى موضوع العصر (الحدث) حيث يعثر على كتاب جديد هو (الحدث في حركة الشعر العربي المعاصر) فيقول:

ليس الموضوع جديداً، ولكن الكتاب الذي يحمل هذا العنوان هو الجديد، وإنها لشجاعة أن تأتي بدلوك إلى بئر كثر الوردون إليها، وأن تسعى إلى أن تقول جديداً في موضوع كثر دارسوه، ويتابع صاحب الكتاب الباحث ميخائيل عيد قائلاً: كانت هذه الفكرة تراودني وأنا أقلب صفحات الكتاب الذي صدر عن مطبعة الجمهورية للدكتور خليل موسى ولكنني لم ألبث طويلاً حتى أبعدت كل التخوفات والأسئلة.. وكانت الرحلة مع الكتاب جميلة ومفيدة. والدكتور خليل موسى باحث مجتهد يكتب في موضوع تخصص له.. وقد عالج الكثير من موضوعات الحدث في مقالات وأبحاث نشرت في الصحف والدوريات، وكان جاداً في معالجاته..

وقد جاء كتاب الدكتور خليل موسى في مقدمة وثلاثة فصول.. نقتطف من الفصل الثاني ما يلي: حيث يقول الأديب ميخائيل عيد: "يقف الباحث طويلاً عند الموت الشخصي في شعر السياب، فنقرأ مأساة الشاعر وندخل إلى جحيم حزنه ونتمنى لو نستطيع أن نفعل شيئاً، ولكننا نصدم بجدار المستحيل ونبقى أسرى رنات الحزن وأسرى أصدااء النهضة والحنين.. ويتكلم الدكتور

موسى على موت الفداء عند الشعراء  
التموزيين بإيجاز، فهذا الموت اتحاد بالآلوهة  
وانتقال من عالم التغيير إلى عالم الثبات، أو  
هو انتقال من العالم الزمني إلى العالم اللاتزميني  
ويتمثل في الإستشهاد، فالعاشق إذا مات في  
سبيل قضية كبرى توحد بالفينق أو تموز أبعل  
أو السيد المسيح ويبقيه هذا التوحيد حياً".

ثم يتكلم على موت الفداء عند السياح  
وأدونيس، والبياتي وأمل دنقل ومن ثم يصل  
إلى الموت الحضاري الذي هو تقيض لموت  
الفداء وهو موت الأمة التي لا تجد من يفتديها  
من أبنائها..

وبعد أن يستعرض الباحث عيد فصول  
الكتاب (الحدث في حركة الشعر العربي  
المعاصر) يختتم بقوله: بلى، إن المرء  
ليكتشف جوانب ملونة في كيانه حين يقرأ كتاباً  
جيداً فالكتاب الجيد يساعدنا على اكتشاف  
الآخر وعلى اكتشاف الذات أيضاً.

ومن ينسى الشاعر الراحل محمد  
مهدي الجواهري بقامته المديدة جسماً وشعراً،  
وكانت آخر إنجازاته الأدبية (الجمهرة..  
مختارات من الشعر العربي) حيث لم يمهل  
القدر لإنجازها كاملة فوصل بها إلى نهاية  
العصر الأموي.. عند هذا العمل الرائع يحدثنا  
الباحث ميخائيل عيد عن (الجمهرة وعجور  
الأرملة الغابرة) فيقول:

".. وإذا كان شاعرنا الكبير الجواهري  
قد اختار من شعرنا القديم أصفى عينوه فكم  
يكون عسيراً اختيار الأصفى من الأصفى، ومع

ذلك لا مناص! فلنقف قليلاً مع عدي بن زيد  
العبادي:

بكر العاذلون في وضح الصبح  
يقولون لي: ما تستفيق؟  
ويلومون فيك ابنة عبد الله  
والقلب عندكم موثوق

ونحس النغمة.. فنطوي صفحات  
ونقف عند شكوى من نوع آخر شكوى من  
"حبيب معمم لامن حبيب مقتع.. إن عامر بن  
جوين الطائي يخاطب صاحبه:

هل في القضية أن إذا استغنيت  
وأمنتم فأننا البعيد الأجانب  
وإذا الشدائد بالشدائد مرة  
أشجبتكم فأننا الأحب الأقرب

نقرأ مدحاً وفخراً، وتسبيحاً واعتذاراً  
ووعيداً ونرى الكثير من صور الطعن  
والضرب.. ففي تاريخنا الكثير من القتل..  
ونتجاوز ذلك نبكي مع الباكين ونردد مع  
النابغة الذبياني:

حسب الخليلين نأي الأرض بينهما  
هذا عليها وهذا تحتها بال

ثم يكون علينا أن نختار بين شرين:  
الموت أو الذل، حين يصور لنا عروة بن الورد  
وجهي الصلوكين: الذليل والأبي.. ننحاذ إلى  
الآخر الذي:



ولكن صعلوكاً صحيفة وجهه

كضوء شهاب القابس المتنور

مطلاً على أعدائه يزجرونه

بساحتهم زجر المنيع المشهر

ثم يستعرض الباحث الجزء الثاني من

الجمرة فيقف عند شعر الشاعر الفارس أبي

محجن الثقفي فيقول: وأبو محجن الثقفي وجه

لا ينسى فهو القائل:

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا

وأترك مشدوداً عليّ وثاقياً

وهو القائل:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه

تروي عظامي بعد موتي عروقه

وبعض أن يستعرض الباحث ما ورد

من أخبار وأشعار المحبين: قيس بن الملوح..

قيس بن ذريح حيث يقف عند بيت جميل لهذا

الشاعر وهو القائل:

تساقط نفسي حين ألقاك أنفساً

يردن فما يصدرن إلا صواديا

وبعدها يدخل الباحث مضارب الشاعر

أبي صخر الهذلي القائل في ذكر حبيبته:

وإن لتعروني لذكرك هزة

كما انتفض العصفور بالله القطر

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى

وزرتك حتى قيل ليس له صبر

ويتابع الباحث عيد مستعذباً شعر

الغزل فيقول: ويدهشنا عروة بن أذينة

ببساطته وعذوبة شعره فلا تصدق أنه من

القدماء:

بيضاء باكرها النعيم فصاغها

بلباقة فأدقها وأجلها

منعت تحيتها فقلت لصاحبي

ما كان أكثرها لنا وأقلها

فدنا فقال: لعلها معذورة

من أجل رقبته، فقلت لعلها

وكنت أتمنى على الصديق الأديب

ميخائيل عيد أن يوازن هذا الإنجاز الرائع

لجواهري بما سبقه من مختارات شعرية

قديمة وحديثة.. مثل حماسة أبي تمام،

والحماسة الشجرية، وحماسة البحتري،

ومختارات البارودي وأدونيس وغيرهم..

فلقد بقي الكثير الكثير مما لم أستطع

أن أستعرضه في كتاب (وجوه ومرايا) للأديب

والشاعر ميخائيل عيد، وأعترف بأن أي إيجاز

أو استعراض لتلك المواضع التي ذكر بها

كتاب صديقنا عيد يفقدها الكثير الكثير من

وهجها وحرارتها التي صبها مؤلف الكتاب

بأسلوبه الممتع وقلمه الرشيق، وبيانه الأنيق..

إني أوصي باقتناء هذا الكتاب الزاخر

بما لذ وطاب من أدب وفن وتاريخ وسيرة

ذاتية لأعلام يستحقوا أن يردوا النور حيث

كانوا الشعاع الذي بدد الظلمة لوقت ليس

ببعيد..

# إلى نائمة..!!

خضر الحمصي

هيا انهضي فـالنور أشـرق  
فـفي الجفـون الفاتـرة  
هـذا ضياء الشمس حـط  
عـلى الـرموش سـاهرة  
قومي إني كـوخ المـحبة  
وانسـنين الغبـرة  
إني أرى عمـري يـر  
كـما الـرياح العابـرة  
لا تحبـبي شـتن الجمـال  
عـن العيـون الـناظرة  
فـالكون زاهـ والـليالي  
السـود أـست ناضـرة  
نـثر الضياء شـعاعه  
مـثل الـنجوم الزاهـرة  
غسـق الصـباح معـرش  
فـوق الشـفاه السـاحرة  
قومي انـزعـي تعب القـلوب  
الخضـر أنـت القـادرة

# عمر خيام

## آخر وآخر

### في رواية

#### العار

##### دراسة ناقدة

بقلم:

رضا بني المرجة

أثناء زيارتي لمدينة طهران حاضرة  
البلد الصديق إيران في خريف عام ١٩٩١  
روى لي أحد الأصدقاء الأدباء ما مفاده:

إن سيء الذكر الروائي المعروف  
سلمان رشدي الذي أصدر الإمام الخميني  
الراحل (قدس الله سره) فتوى تقضي بإعدام  
دمه وخصص جائزة مالية مجزية لذلك نتيجة  
إصداره روايته الرابعة (آيات شيطانية)  
الزاخرة بالإلحاد والتجديف على القرآن الكريم.  
هذا الروائي الباكستاني الملحد قد  
أصدر أيضاً رواية قبلها بحوالي خمس سنوات  
بالإنكليزية عنوانها: SHAME ومعناها  
(العار) يسيء فيها إساءة بالغة إلى أحد  
الرموز البارزة والأعلام الواردة سيرهم في  
مجلد (من روائع الأدب الفارسي) ألا وهو  
شاعر الرباعيات الشهير عمر الخيام. فأكملت  
حديثه: وهو أيضاً النطاسي (الطبيب البارع)  
والفلكي وعالم الرياضيات ومبدع التقويم  
السنوي الإيراني (هجري - شمسي) الملقب  
بأبي الفتح.

تلك المقولة تركت في نفسي انطباعاً  
سيئاً لم يستطع مرور عقد زمني كامل من  
محي آثاره.

لقد حدث في الآونة الأخيرة أن وقعت  
في يدي نسخة معربة من نفس رواية (العار)  
وقد قام بترجمتها - مشكوراً - الأديب الكبير  
الأستاذ عبد الكريم ناصيف وقدم لها الأستاذ  
نصر شمالي وصدرت عام ١٩٨٥ بـ ٢٧٢  
صفحة.

قرأتها مثني وثلاث وخرجت بنتيجة  
مأساوية حقاً:

أولاً: لقد أدركت لماذا نال المؤلف أكثر من  
أربع عشرة جائزة أدبية (حسبما ذكر على  
غلاف الرواية إلى جانب صورة كالحة  
الملاح).

ثانياً: اكتشفت أن المؤلف قد استعان بالأسلوب  
الأدبي: (الفانتازيا) ضمن إطار سياسي يحكي

قصة انفصال باكستان وبنغلادش عن قارة الهند في ١٤ آب من عام ١٩٤٧ (قبل أن يولد بأشهر قلاتل في العاصمة القديمة) "بومباي" ثم انضمت أسرته إلى باكستان وحينما شب عن الطوق هاجر منها إلى بريطانيا للعيش فيها بعد أن اكتسب جنسيتها.

أجل هذا الأسلوب الأدبي - آنف الذكر - مكنه من التواري خلفه. كي يعتمد الإساءة إلى الطبيب الفارسي عمر الخيام (حيث نفى أن يكون ذو صلة من قريب أو بعيد برباعياته الشعرية متجاهلاً شهرتها الواسعة في عالم الأدب الفارسي والعربي، بل والعالمي أيضاً حيث تم ترجمتها إلى عدة لغات حية أشهرها تلك التي قام بترجمتها الشاعر الإنكليزي: (فيتز جيرالد) غير أن أصح ترجمة للرباعيات وأصدقها وأقربها إلى الأصل الفارسي كانت تلك التي عربها الشاعر العراقي المرحوم (أحمد الصافي النجفي) (١٨٩٧-١٩٧٧) م ، حسب رأي الشاعر السوري أحمد الجندي، علماً أن أول من عربها هو الأديب اللبناني وديع البستاني، وباعتقادي إنه باستطاعة كل ناقد ذي رأي سديد ومحيد وفكر حصيف وراجح: (أن يكتشف تلك البوادر المسينة والبادية صراحة في نص روايته المشبوهة تلك) . وللدلالة على ذلك أورد فيما يلي موجزاً لما جاء فيها:

- شاء الراوي أن يفسر لنا منشأ كلمة باكستان حسب مقاطعها فيقول في الصفحة (٨١): من المعروف جيداً أن مصطلح الكلمة المركب من الحروف الأولى لكلمات أخرى مصطلح فكرت به لأول مرة في انكلترا فئة من المثقفين المسلمين بحيث يرمز الحرف باء للبنجابيين والحرف ألف للأفغانيين والحرف ك للكشميريين والحرف س لأهل إقليم السند والمقطع تان لأهل إقليم بلوشستان.

ويلاحظ أنه قد تمخض عن رواية العار شخصيتان تحملان اسماً واحداً هو: عمر

الخيام هما أخوان مجهولي الأم والأب يكبر أحدهما الآخر بعشرين سنة، وتفصيل ذلك إنه كان يعيش في بلدة كاف (هي بالحقيقة مدينة كوادار الواقعة على الحدود الأفغانية - حسب موقعها على المصور الجغرافي - رجل أرمل منذ ١٨ عاماً يدعى (شاكيل) أقعده العجز والمرض ضمن قصر منغل لم يلبث أن توفي على سرير الأثري خلفاً وراءه ثلاث بنات عانسات (اكتفى الراوي أن يرمز إلى كبيرتهن باسم شوني وللوسطى موني وللصغرى بوني).

تينك العوانس كن يكرهن والدهن نظراً لتزمتهم الشديد وفرضه القيود القاسية عليهن. والحد من حريتهن طيلة حياته، وحينما توفي تنفسن الصعداء وشعرن أن عبأً ثقيلاً قد أزيح عن كاهلهن وأردن أن يحتفلن بهذه المناسبة على طريقتهن الخاصة، وفتحن أبواب القصر على مصراعيها لأول مرة وأقمن حفلة موسيقية صاخبة كان من بين المدعوين إليها لفيف من الضباط الإنجليز المحتئين من حامية الضاحية الأجنبية المسماة (كانتو نميت) المجاورة لمدينة ك التي يقطنها فقراء المسلمين في غرب الهند (قبل استقلال باكستان وبنغلادش) .

هؤلاء الضباط تناولوا ما لذ وطاب من الحلويات والفواكة وثلثوا من فرط ما تجرعوا من كؤوس الخمرة.

صبيحة اليوم التالي ترددت هناك (في المدينة) شائعة مفادها إن إحدى العوانس الثلاث قد تحولت بفعل فاعل (قد يكون أحد الضباط الإنكليز من فتاة إلى امرأة) وقد تم ذلك بنهاية السهرة الماجنة.

هذه المرأة حملت بجنينها الأول سفاحاً (كما ورد صراحة في الصفحة ١٤ ولم تلبث بعد أشهر معدودة أن وضعت إحداها طفلاً، وقد أصر المؤلف أن يبقى سر الرحم الذي أتى منه الطفل الوليد سرا دفيناً واكتفى بالقول أن

الأخوات الثلاث أردين أن يُطلق على الطفل عمر الخيام تيمناً باسم الشاعر الفارسي الشهير ولم يخجل الراوي أن ينعت به الطفل ابن الحرام في الصفحة رقم ١٨ .

ولزيادة التأكيد إنه إنما يقصد بالإهانة عمر الخيام بالذات الراحل إلى مثواه الأخير منذ ثمانية قرون (ولد عام ٤٣٩ - ٥٢٧ هـ) فقد جعل العوانس الثلاث يُطلقن تسمية (نيسابور) على القصر الذي ولد فيه الطفل عمر الخيام وكلنا نعلم أن الشاعر عمر الخيام ولد ودفن في مدينة نيسابور بإقليم خراسان في إيران (تيمناً بالمدينة المذكورة أيضاً حسب ادعائه) كما نوه أنهن رفضن أن يذكرن البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) حين ولادته لكنهن لم يبخلن عليه بالإرضاع بل كان يرضع من الأثداء الستة بالتناوب بمعدل عام كامل من كل واحدة ولمدة ستة سنوات، ولم يرغبن أن يُختن حين بلوغه سن التسع سنوات كما هي العادة.

كما رفضن رفضاً باتاً أن يُحلق شعره الأسود الكثيف حسبما جاء في الصفحة ١٩ . حدث ذلك في أحد سني القرن الرابع عشر الهجري .

تربى الطفل عمر الخيام ضمن جدران قصر (نيسابور) المغلق في كنف وحذب الأخوات الثلاث وكانت كل منهن تحسبه طفلها المدلل وكانت ترعى شؤونه مربية فارسية تدعى (حشمت بيبي) وثلاثة من الخدم أحدهم أبكم.

حينما بلغ سن الثانية عشر كان قد تعلم من كتب جده المتواجدة في مكتبة القصر بعض اللغات الأجنبية كما برع في إجراء جلسات التنويم المغناطيسي التي كان يطبقها على مربيته وباقي خدام القصر وبهذه الوساطة استطاع أن يكشف الكثير من أسرارهم الخاصة.

وغالباً ما كان يلحظ نظرة غريبة في الأعين الست لأمهاته الثلاث نظرة بدت وكأنها تقول: "هيا أسرع نحن بانتظار قصائدك" لكن ما من رباعية سجلها قلمه (ورد ذلك في الصفحة ٢٧) .

اكتفى المؤلف بوصف عمر الخيام في سياق الرواية أن طبيب أخصائي في مناعة الجسم البشري فقط. ولا يجيد سوى تناول الخمرة ومغازلة الفتيات.

غادر الطفل عمر الخيام ذو الأثني عشر ربيعاً القصر حيث انتسب إلى مدرسة ابتدائية أجنبية مختلطة، حيث تعرف على زميلته التي تكبره بعامين واسمها: فرح ابنة الضابط الجمركي على الحدود الأفغانية (زهر عشتار) وحاول التقرب منها ونظراً لبدانته المفرطة فضلت عليه الأستاذ الإنكليزي الذي غرر بها ثم اضطر للزواج منها رغم كونه بعمر والدها ثم غادرا المدينة معاً، وبعد أن هجرها عادت لوحدها تجر أذيال خيبتها وعارها، بينما كان الشاب عمر قد أنهى دراسته وغادر إلى مدينة كراتشي (العاصمة القديمة لباكستان) حيث التحق بجامعة تلبية لمنحة حكومية لدراسة الطب البشري.

حين بلغ عمر الخيام العشرين من عمره وردته رسالة من أمهاته الثلاث تفيد أنهن قد أنجبن طفلاً آخر أطلقن عليه أيضاً اسم (عمر الخيام) لكي لا يخلو القصر من تردد النداء باسمه الحبيب دون أن ينوهن ويحددن من يكون أباه وأمه.

ولقد جاء في الصفحة ٧٥ ما يلي:

كان عمر الخيام الأول في الثلاثين من عمره ذو سمعة سيئة ككائن بشري منحط غالباً ما يقال عنه على ما يبدو أنه خال من الحياء تماماً (شخص لا يعرف كلمة حياء) .

وفي الصفحة ٩١ لا ينسى المؤلف أن ينعت عمر الخيام بذلك النكرة الذي لا أحد يعلم أصله وفصله.

كما جاء في الصفحة ٩٨ عبارة القدر والذم التالية:

بينما كان اسكندر حربا (رئيس وزراء باكستان) يتفق مع برميل الشحوم الخنزيرية المدعو: عمر الخيام على شؤون الفسق وما شابه.

ما في الصفحة ١٠٥ فقد بلغت الوقاحة المتناهية أوجها لدى سيء الذكر سلمان رشدي إذ سمح لقلمه المشؤوم بالتجديف على الله جل وعلا بشكل نكتة ضمنها روايته المفعمة بالزندقة حينما قال : على لسان أحد الباكستانيين : أن الله نزل إلى أرض الباكستان ليرى كيف تجري الأمور هناك (بعد منحها الاستقلال من قبل حكومة التاج البريطاني) فسال الجنرال أيوب خان:

لماذا البلاد في تلك الحالة من الفوضى؟ فأجابه الجنرال هم أولئك المدنيون الفاسدون الذين لا يصلحون لشيء يا سيدي، فقط خلصني منهم ودع البقية لي!!

وأخيراً في الصفحة ٢٧١ بعد أن جعل المؤلف سلمان رشدي الطبيب عمر الخيام يُقتل على يد زوجته (صفية زنوبيا) ابنة رئيس جمهورية الباكستان السابق واسمه رضا حيدر، وكانت تتقمص اهاب الوحش الدموي وشكله بينما كان يقف أمامها عاجزاً عن الحركة امتدت يداها يدا زوجته (مخالبتها) ثم أطبقتا على عنقه ، جسمه يتداعى، يسقط بجوارها، فتنهل من دمه وقد غدا بلا رأس وينسى الراوي أو يتناسى أنه قد سبق له أن أمات بطل روايته عمر الخيام في الصفحة السابقة ذات الرقم ٢٦٩ بقوله: قال تلفار الحق (محقق الشرطة) (وهو بنفس الوقت عديله) : عليك اللعنة ثم راع مسدسه وأطلق النار على عمر الخيام في قلبه تماماً.

الآن أعتقد ن سلمان رشدي قد شفى غليله من شخصية عمر الخيام الحقيقية حينما قتله في خياله المشوش مرتين متواليتين وهو في سن الـ ٦٥ سنة بينما عمر الخيام عاش في الحقيقة ٨٨ سنة أو ٨٣ سنة على الأقل. حتى وإن كان يناقض نفسه في سبك ختام روايته المغرضة تلك ويبدو أنه لا يأبه كثيراً لنقد القراء الواعين طالما أن الدول الغربية تغدق عليه الجوائز وتناصره على السراء والضراء وتستخدمه كمخلب قط لمهاجمة الإسلام والمسلمين في شتى أرجاء الأرض عن طريق وسائل الأعلام المكتوبة بقالب مجلبب بالثقافة المشبوهة والمغرضة بأن معاً.

هكذا شاء سيء الذكر سلمان رشدي أن يوجه سهامه المسمومة نتيجة حقده الدفين إلى هذه الشخصية الفارسية الفذة وزراً وبهتاناً.

ثم ألم يكن أحد شروط الولايات المتحدة الأميركية المتواجد فيها الآن إلغاء الفتوى القاضية بهدر دمه كي تعيد العلاقات الدبلوماسية مع حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية؟

### مصادر البحث والتوثيق :

- ١- رواية العار لسلمان رشدي (مترجمة)
- ٢- كتاب رباعيات الخيام لأحمد صافي النجفي.
- ٣- كتاب المفترى عليه عمر الخيام للدكتور رمله محمود غانم.
- ٤- كتاب رباعيات عمر الخيام بالعربية لهاني الخير.
- ٥- كتاب رباعيات عمر الخيام ترجمة عن الفارسية . الشاعر مصطفى وهبي التل الملقب بـ (عرار) "أردني" .



في حفل

تكريم

سمو

الأمير

عبد الله

الفيصل

اختتمت "دار سعاد الصباح"  
احتفاءها بالشاعر الأمير عبد الله الفيصل  
في حفل تكريمي أقيم بالقاعة الكبرى في  
فندق سميراميس بالقاهرة مساء يوم  
الأربعاء الماضي.

"جئت لأحيي جميع الذين تحملوا  
العناء للحضور وللمشاركة في هذا الاحتفال  
التكريمي الذي أسميه "مهرجان الوفاء".  
وفاء سعاد الصباح للثقافة وللكبار المبدعين  
وهي بادرة أطلقتها منذ عوام وثابتت على  
نهجها لتضيف بذلك إلى دورها الكبير في  
مسيرة الثقافة العربية"

بهذه الكلمات خاطب الدكتور فاروق  
حسني، وزير الثقافة المصري جمهور  
المدعوين إلى الحفل، بعد كلمات الأمير  
محمد عبد الله الفيصل الذي قرأ رسالة  
والده المكرم والتي تشيد بمبادرة الدكتور  
الصباح وما تغنيه له ولجميع المثقفين  
العرب مكرراً شكره لها على ما قدمته  
للاحتفاء به.

كان الحفل بدأ بتلاوة مباركة من  
القرآن الكريم ثم كلمة الشيخ مبارك عبد  
الله مبارك الصباح نيابة عن والدته  
الدكتورة سعاد الصباح والذي قال:



السيد خالد القطمة، المدير العام لدار سعاد الصباح  
يرحب بالأمير خالد الفيصل

معالي وزير الثقافة الأستاذ الدكتور  
فاروق حسني  
أصحاب السمو والمعالي/ الأمراء والسفراء  
سيداتى ساداتى

أريد أولاً أن أعبر عن عميق الشكر  
والامتنان لحضوركم هذا الحفل الذي تقيمه  
دار سعاد الصباح تكريماً لصاحب السمو  
الملكى الأمير الشاعر عبد الله الفيصل.  
ويشرفني أن أقف بينكم حاملاً  
رسالة الوالدة الجليلة الدكتورة سعاد محمد  
الصباح والتي كلفتني مشكورة بحضور هذا  
الملتقى الثقافى الكبير وإلقاء كلمتها التالية  
نيابة عنها..

معالي وزير الثقافة الأستاذ الدكتور  
فاروق حسني  
أصحاب السمو والمعالي الأمراء والسفراء  
يا أصدقاء الحرف العربى

فى العام ١٩٩٥ شهدت الكويت  
تظاهرة ثقافية جديدة فى وطننا العربى  
وذلك حين تشرفت بتكريم رائد التنوير  
العربى فى وطنى الأستاذ عبد العزيز  
حسين. بعدها كان من كبير الحظ أن أحمل  
إلى البحرين الغالية عام ١٩٩٦ رسالة  
محبة تجسدت فى تكريمنا لشاعرها الكبير

الأستاذ إبراهيم العريض، أمد الله فى عمره  
وأبقاه، وذلك ضمن مبادرات الوفاء التى  
نؤسس لقيمتها عرفاناً بفضل كبار المبدعين  
العرب الأحياء.

وفى العام ١٩٩٨ كنا على موعد  
لتكريم كبير الشعر الأستاذ نزار قباني  
فصدر كتابنا التكريمى له ولكن القدر حال  
بقسوته دون هذا الواجب وغاب عنا نزار  
قباني ليبقى خالداً فى عطائه الذى لا يغيب.  
العام الماضى كنا على موعد هنا  
فى القاهرة الحبيبة، لتكريم علم مصرى فى  
دنيا التأليف والبحث تشهد بفضل  
المؤسسات الثقافية الراسخة التى أقامها  
وآثار مصر الخالدة. نعم كان الموعد لتكريم  
الصديق النبيل الدكتور ثروت عكاشة، وكان  
احتفالنا لائقاً به وبعطائه ومعبراً عن تقدير  
ثمين لكل ما أبدعه وأرساه.

وفى هذه السنة كان اختيارنا  
لصاحب السمو الملكى الأمير الشاعر عبد  
الله الفيصل، تقديراً لمجمل ما أعطى فى  
عالم الشعر الكلاسيكى والشعبى وفى حقول  
الإدارة والرياضة والعمل الإنسانى.

وقد شهدت مدينة "ابها" فى  
أرض عسير حفل تكريمه، فيما شهدت  
الرباط أياماً تكريمية أقمناها تحت  
رعاية صاحب الجلالة الملك محمد السادس  
حفظه الله.



الأمير خالد الفيصل ، الأمير محمد عبد الله الفيصل  
والشيخ مبارك عبد الله المبارك متجهين إلى الحفل

وأننا إذ نقيم هذا التكريم في القاهرة، فلأن في الكحل المصري عيناً أخرى تؤسس لجمال العين ولأن مياه النيل هي عطر الختام الذي أردناه لمجمل فعاليات احتفائنا بالأمير الشاعر إن ما بيننا وبين القاهرة صلة وجود حميمة ودائمة ففي هذا البلد الغالي كانت الدراسة والإقامة مطلع الستينات وفيها أطلقت مشروعى الثقافى الأول بطباعة مجلدات مجلة "الرسالة" المصرية عام ١٩٨٥ . ومن القاهرة انطلقت أولى المسابقات الإبداعية للشباب العربى عام ١٩٨٨ وتستمر حتى يومنا هذا باسم مسابقات الشيخ عبد الله مبارك الصباح ومسابقات سعاد الصباح للإبداع العربى.

وهي المسابقات التي شجعت الآلاف من الشبان العرب على تقديم البحوث والدراسات العلمية والأدبية والفكرية وتحولت إلى مهرجان ثقافى للجيل الجديد. وقد أسهمت هذه المسابقات في تحريك بحيرة راكدة من المواهب التي أعطت وأبدعت فقمنا بطباعة إبداعها في مئات الكتب، وقدمنا لها ما تستحق من تشجيع.

أما دار سعاد الصباح للنشر فقد ولدت في القاهرة خلال نكزرو العراقى البائس لوطننا ومنها انطلقت حاملة رسالة

جديدة للنشر ومفهوما يجعل دار النشر مؤسسة ثقافية شاملة، بعض دورها الكبير هذا الحفل الكريم.

معالى الوزير  
أيها الكرام

كانت القاهرة هي الحبيبة الغالية في القلب زمن الشباب، وهي اليوم كذلك وغداً ستبقى. أرجو أن تقبلوا عظيم امتناني لتشريفكم حفلنا هذا وعذراً لغياب لا أملك فيه أمراً.

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته.

بعدها تحدث الدكتور صلاح فضل والدكتور عبد الله المعطاني عن الحفل ومراميه وعن المحففة والمحففى به، ثم حفل غداء.

ومساء يوم الخميس التالى شهد أكثر من ألف وثلاثمائة مدعو يتقدمهم الشيخ مبارك عبد الله مبارك الصباح وضيوفه أصحاب السمو الأمراء وكبار المدعوين الحفل الغنائى الساهر الذى أقيم فى دار الأوبرا المصرية والذي أنشدت فيه فرقة الموسيقى العربية الأغاني التى غنتها أم كلثوم وعبد الحليم حافظ من أشعار الأمير عبد الله الفيصل.



على المنصة :

الشيخ مبارك عبد الله المبارك والأمير محمد عبد الله الفيصل



# نتائج تحكيم

## مسابقات

### الشيخ عبد

### الله المبارك

### للإبداع

### العلمي

### ومسابقات

### سعاد الصباح

### للإبداع

### الفكري

### والأدبي للعام

٢٠٠١

اعتمدت الدكتوراة سعاد الصباح  
نتائج تحكيم مسابقات الشيخ عبد الله  
المبارك للإبداع العلمي ومسابقات  
سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي  
للعام ٢٠٠١ وقد فاز في المسابقات  
المبدعون التالية أسماؤهم:

مسابقة الإبداع العلمي الأولى وموضوعها:  
"أبرز العلماء العرب والمسلمين وماذا  
قدموا للعلم؟"

الجائزة الأولى: شاكر عبد القادر عبد  
المقصود عمر (مصر)  
الجائزة الثانية: مناصفة بين

رحاب ابراهيم سليمان عيسى (مصر)  
ومحمد فتحي عيسى حماد (مصر)  
الجائزة الثالثة: مناصفة بين  
هبة محمد فضل الله عبد السيد (مصر)  
وهاني محروس محمد سليمان (مصر)

المسابقة العلمية الثانية وموضوعها  
"خارطة الجينات البشرية وأثرها العلمي"  
الجائزة الأولى: يوسف يحيى خضر  
(الأردن)

الجائزة الثانية: حجت  
الجائزة الثالثة: ولاء عبد الظاهر السيد  
حسن (مصر)

وفي المسابقة العلمية الثالثة وموضوعها  
"ارتفاع ضغط الدم: الوقاية والعلاج"

الجائزة الأولى: ندى سعد الله السباعي  
(سورية)

الجائزة الثانية: مناصفة بين  
بدور علي محمد المهدي (الكويت)  
و د. عيسى محمد غازي حمادة (سورية)

الجائزة الثالثة: د. سلوى محمد الصالح  
(سورية)

في المسابقة العلمية الرابعة موضوعها  
"الزلازل المدمرة: هل يمكن التنبؤ بها؟"

الجائزة الأولى: المهندس نعمان كمال  
زوباري (سورية)  
الجائزة الثانية: عصام خالد علوان  
(سورية)

الجائزة الثالثة: محمود السيد محمود توفيق  
(مصر)

في المسابقة العلمية الخامسة المخصصة  
بمناسبة الكويت عاصمة ثقافية  
وموضوعها: "البحر وعلاقته بالحياة في  
الكويت"

الجائزة الأولى: د. نوبي محمد حسن عبد  
الرحمن (مصر)  
الجائزة الثانية: حجت .  
الجائزة الثالثة: جمعة أبو الفتوح شعبان  
السيد (مصر)

أما مسابقات الإبداع الفكري والأدبي فقد  
جاءت نتائجها كما يلي:

في المسابقة الأولى "الشعر"

الجائزة الأولى: عيسى قارف (الجزائر)  
الجائزة الثانية: سامر فهد رضوان  
(سورية)  
الجائزة الثالثة: حمزة قناوي رمضان  
(مصر)

وفي المسابقة الأدبية الثانية "القصة  
القصيرة"

الجائزة الأولى: حلت ابتسام إبراهيم تريس  
من سورية بمجموعتها "جذور ميتة"  
الجائزة الثانية: حجت .  
الجائزة الثالثة: زهرة بو سكين من الجزائر  
عن مجموعتها "الزهرة والسكين" .

موضوع المسابقة الثالثة الفن التشكيلي  
العربي وأبرز مدعيه

الجائزة الأولى: محمد مهدي حميدة (مصر)  
الجائزة الثانية: زينب غسان جديد (سورية)  
الجائزة الثالثة: روضة طه الطه (سورية)

المسابقة الرابعة "المستشرقون ودورهم في  
كشف التاريخ العربي"

الجائزة الأولى: أحمد صبحي معوض الفقي  
(مصر)  
الجائزة الثانية: محمد أبو بكر محمد أبو  
زيد (مصر)  
الجائزة الثالثة: سالم عبد اللطيف سعيد  
الشوافي (اليمن)

المسابقة الخامسة المخصصة بمناسبة  
اختيار الكويت عاصمة ثقافية وموضوعها  
"الكويت والثقافة العربية"

الجائزة الأولى: العيد بن منصور غراب  
(الجزائر)  
الجائزة الثانية: علي عبد الفتاح علي  
جبريل (مصر)  
الجائزة الثالثة: مجدي عبد العزيز محمد  
عبد المجيد صالح (مصر) .

# سور



المراسم الرسمية لعيد الفصح - الكويت

التاريخ -  
الجمال -  
تفتح زراعتها لاستقبال  
من كافة أنحاء

مع تحيات وزارة الاعلام

# سورية

الأوابد تحكي



والتاريخ .. يزهو

وزارة الإعلام  
المؤسسة العربية للإعلان



طالعوا صباح

كل سبت

# الثقافة الأسبوعية

مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق

مؤسسها ورئيس تحريرها

مطحة عكاش

الجمهورية العربية السورية - برج دمشق - ضفة بردى - ط ٧ - رقم ١٨  
ص . ب / ٢٥٧٠ - هاتف ٢٣٢٣٠٦١ - فاكس ٢٣٢٠٨٨٧

السعر : ٢٥ ل . س